

الباب الأول

التعلم ومراحله
والمدسة ودورها
الاجتماعي والتربوي والتعليمي

الفصل الأول

التعلم ومراحله

هل فكر أحدنا أو تساءل بينه وبين نفسه عن ماهية التعلم؟ أو ما الهدف أساساً من التعليم؟ أو لم قسم التعليم لهذه المراحل بداية من الحضانه وحتى الجامعة؟ وما الهدف من كل مرحلة تعليمية؟ وهل بالفعل هو هدف مناسب لطبيعة كل مرحلة أم لا؟ ثم هل يكون التلميذ بالفعل عند الانتهاء من كل مرحلة تعليمية قد حقق الهدف منها؟ وعلى عاتق من تقع مسئولية هذه العملية التعليمية؟ على المدرسة أم الأسرة أم الأبناء أم المجتمع ككل؟

هيا بنا لنحاول أن نجيب عن هذه التساؤلات من خلال الدراسات التربوية والنفسية التي عكف عليها الكثيرون من علماء التربية والنفس.

أولاً: التعلم:

إن التعلم مرحلة أساسية في الحياة، فنحن نتعلم من البيئة المحيطة بنا والظروف التي نعيشها أموراً كثيرة، فكل إنسان يتعلم، وفي أثناء تعلمه تنمو أنماط السلوك التي يمارسها.. وإذا تتبعنا أى مظهر من مظاهر النشاط البشرى سنجد أن وراءه عملية تعلم.

وإذا نظرنا لكيفية خضوع الطفل للتعلم سنرى أنه يتعلم بصفة مستمرة.. يتعلم من داخل البناء الأسرى ثم من بيئته الخارجية.

فمثلاً في طفولته الأولى يتعلم أن ينادى أمه بالصياح.. ثم سرعان ما يميز بين الأصوات الخارجية.. وحين تنمو أطرافه يتعلم

كيفية إمساك الأشياء وتركها.. وحينما تقوى عضلاته يتعلم المشى.. ثم يتطور الأمر كلما كبر فيتعلم اللغة وأساليب مخاطبة الناس وآداب المائدة .. واحترام الكبار إلخ.

والواقع يحتم علينا أننا مادمننا نعيش لا بد أن نتعلم .. إذاً دون هذه العملية تفقد الحياة قيمتها.. فالحياة والتعلم شيئان متلاصقان لا يمكن الفصل بينهما.. فلو تخيلنا إنسانا ظل على سلوكه الفطري ونما وكبر ولم يتعلم شيئاً من العالم الخارجى.. فماذا ستكون سلوكياته؟.. لا شك أن الحيوانات الأليفة التى تعلمت أشياء فى حياتها ستكون أفضل منه.. ومن هنا يتضح أنه كلما زاد تعلمنا لأساليب سلوكية كان تكيفنا مع العالم الخارجى أبسط وأوضح.

ومن هنا أيضاً تتضح لنا حقيقة جلية وهى أنه لا بد من وجود "معلم" حتى تتم العملية التعليمية ، فالأب معلم لأبنائه، والأم معلمة لأبنائها، ورئيس العمل معلم لمرءوسيه والمدرس معلم لتلاميذه، حتى الدول تقوم بدور المعلم لشعوبها فى كثير من الأمور مثل كيفية التعاون وقت الشدة وحقوقهم وواجباتهم... إلخ.

والدور الأكبر فى هذه العملية يقع على عاتق المعلم أو المقصود به المدرس المدرسى وهو الشخص الذى يمتحن التعليم ويعلم تلاميذه الكثير من المعارف والأمر ويعدهم لمجابهة الحياة الخارجية.. ولقد أصبح دوره فى عصر العولمة الذى نعيشه لا يقتصر على تعليم القراءة والكتابة والحساب.. و..... فقط ، بل تعدى هذا أو امتد لتعليم الأبناء طريقة التفكير السليمة وتعويدهم على عادات اجتماعية معينة تناسب إعدادهم للمشاركة فى بناء مجتمع عصرى وتسهيلتهم للدفاع عن هذا الكيان المستقل ومسايرة الركب الحضارى المتقدم دون الاتكال أو الاعتماد على أحد.

ونظراً لأهمية عملية التعليم اعتبر علماء النفس أن الوظيفة الرئيسة للعقل البشرى هى التعليم، وربطوا بين نظرياتهم السيكولوجية العامة ونظرياتهم فى تفسير التعليم.

ثانياً: مراحل التعليم والهدف منها

لكى يتم التعليم الدراسى لابد أن نقسمه لمراحل يكون لكل منها غرض تعليمى معين بحسب حاجة الأمة. وقد تم التقسيم فعلاً إلى ست مراحل وهى: مرحلة الحضانة والابتدائى والاعدادى والثانوى والجامعة والدراسات العليا لمن يرغب فى إتمامها.. وكان وراء كل مرحلة هدف معين لابد من تحقيقه، تعكف على دراسته مجموعة من المتخصصين التربويين لأن أى عمل ناجح لابد أن يكون له هدف محدد، وبالتالي لابد من وجود هدف لكل مرحلة تعليمية.

فالهدف هو النقطة النهائية التى يضعها المخططون ثم يحددون طرق الوصول إليه والمراحل اللازمة لتحقيقه.. وبالطبع يشترط فى تحديد الهدف عدة شروط منها:

- ١- أن يكون مفيداً للمجتمع. ٢- أن يكون قابلاً للتحقق.
 - ٣- ألا يكون من طبيعة مختلفة عن طبيعة العمل الذى يؤدى إليه.
 - ٤- أن تكون الوسائل المتبعة لتحقيقه من نوع الهدف ذاته.
- فهل تحقق لنا الهدف من كل مرحلة تعليمية بالفعل؟ وهل كان هدفاً مناسباً لطبيعة تلك المرحلة؟ وهل حين ينتهى التلميذ من أى مرحلة تعليمية يكون قد حقق الهدف منها؟

- إذا بدأنا بمرحلة الحضانة مثلاً: ما الهدف المنوط بها؟ هل هو تعليم القراءة والكتابة باللغة العربية، أم تعليم إحدى اللغات الأجنبية؟ أم تفاعل التلاميذ مع الآخرين؟ أم اكتساب بعض المهارات الحركية؟ أم ماذا بالضبط!؟

● ثم إذا انتقلنا للمرحلة الابتدائية وتساءلنا: هل الهدف هو حشو أذهان التلاميذ بمجموعة من المعلومات كالتاريخ والرياضيات والأدب وقواعد اللغة العربية أم إجادة القراءة والكتابة؟ أم محاولة دفع التلاميذ لكي يعبروا عن أنفسهم؟

● بالنسبة للمرحلة الإعدادية: هل هي مجرد امتداد للمرحلة السابقة، أم بداية لدفع التلميذ للتفكير أكثر واستثارة خياله؟ أم متابعة قدرته على تنفيذ الواجبات المدرسية التي يكلف بها؟ أم قدرته على تنفيذ عمل مدرسي بالمشاركة مع زملائه؟ أم بماذا تتميز؟

● تأتي للمرحلة الثانوية: وهي المثقلة بالمقررات الدراسية والتي يطالب فيها التلميذ بحفظ واستدكار الكثير من المعلومات بهدف استعدادها في ورقة الامتحانات..

وفي هذه المرحلة يطرح عليه بصورة شبه إجبارية الطريق العلمي أو الأدبي الذي سوف يحدد طريقه فيما بعد.

● ثم تنتهي بالمرحلة الجامعية وتساءل: هل الهدف منها هو تزويد الطالب بمجموعة من المعارف؟ وهل من الممكن أن يشارك في مناقشتها وإنتاجها؟ هل تتاح له فرصة التحليل والنقد أم عليه أن يتقبل المسلمات بدون مناقشة؟ هل دوره هو استدكار الكتب والمذكرات المقررة عليه، أم تتاح له إمكانية القيام بأبحاث مبسطة أو صغيرة؟ والتساؤل الأهم هو: هل تعد الجامعة طلابها ليكونوا مؤهلين للعمل بالفعل أم يظلون بحاجة لتأهيل جديد وإعادة تأهيل!

وأخيراً: فإن تحديد الأهداف في مجال التعليم أمر في غاية الأهمية ولا يكفي أن تكون هذه الأهداف واضحة لدى رجال التعليم

فحسب، وإنما لا بد أن تكون بنفس درجة الوضوح لدى التلاميذ وأولياء الأمور والمجتمع ككل، لأنه على أساسها يمكن تقييم نظامنا التعليمي ووضعه في إطاره الواقعي، بدلاً من التركيز على ما به من سلبيات أو إعلان ما يحققه من إنجازات، وعلينا أن نتجه للمستقبل بفكر جديد يضع الأطر الكفيلة بتصنيف الطلاب حسب ميولهم وقدراتهم تجاه نوعية الدراسة التي تتلاءم معهم ويتجاوزون معها. وإذا كان أرسطو هو صاحب مقولة " اعرف نفسك بنفسك " فمن باب أولى أن نعرف نظامنا التعليمي - الذي هو أساس التقدم والنهضة - بأنفسنا بدلاً من أن يأتي الآخرون ليعرفوه لنا أو يعرفونا به.

ولهذا فلم يعد دور المدرسة في المجتمع محل مناقشة ، فقد أصبح التعليم بالنسبة للأمم واحداً من أولوياتها الاستراتيجية إن لم يكن أهمها على الإطلاق لأن الشعوب تواجه مستقبلها ومصائرنا بالأجيال الناشئة - المتعاقبة التي أجدت تربيتها وأتقن تعليمها .. ولو نظرنا للعالم من حولنا ونحن في العقود الأولى من الألفية الثالثة وما يحدث به من تغيرات وتحولات وإنجازات علمية لأدركنا حجم المسؤولية الملقاة على عاتق التربويين والذين يخططون للتربية والتعليم في عالمنا العربي والإسلامي .

المدرسة ودورها الاجتماعي

لقد أصبحت حضارة الشعوب تقاس بمدى حسن استعمالها للثروة البشرية الكامنة في أبنائها وتوجيه سلوكهم الوجهة الصحيحة التي تسهم في تقدم الإنسانية..

وقد وضعت النظم التعليمية للعناية والإشراف على هذا التوجه.. والمدرسة هي الوسيلة التي اصطنعها المجتمع لنقل الحضارة ونشر الثقافة وتوجيه الأبناء الوجهة الاجتماعية الرصينة ليكتسبوا من العادات الفكرية والعاطفية والاجتماعية ما يساعدهم على التقدم بهذا المجتمع.. فالمدرسة هي المؤسسة التي ارتضاها المجتمع للإشراف على هذه العملية..

ولذا نجد أن دور المدرسة ينصب في التأثير المنظم في سلوك الأفراد في أعمار زمنية متقاربة بقصد إكسابهم المهارات والعادات التحصيلية والعادات الفكرية والاتجاهات التي تسهم في عملية التنشئة.

إن دور المدرسة مهم جداً في تكوين شخصية الطفل.. فهي مركز اجتماعي مهم حيث يقضى الطفل فيها ساعات طويلة من حياته اليومية يكتسب فيها خبرات اجتماعية تساعده على التلاؤم مع المجتمع الكبير.

ولذا يجب أن تراعى في المدرسة هذه الأمور:

- ١- ألا يبني النظام المدرسي على التسلط والقسوة، بل على حث التلاميذ على التعاون والاحترام وحب النظام مع توافر المرونة.
- ٢- أن تراعى المدرسة الفروق الفردية بين التلاميذ وتشمل هذه الفروق القدرات العقلية والمهارات والاختلافات الشخصية.. وعلى ضوء هذه الفروق يمكنها مساعدة الطفل للتكيف مع الدراسة.
- ٣- أن تكون المناهج من واقع البيئة التي يعيشها التلاميذ ويكون لها معنى ووظيفة بحيث يتعلم الطفل ويطبق ما يتعلمه إذا أمكن هذا.

٤- البعد تماما عن تخويف الطفل وإرهابه أو إهانته بالسخرية أو التحكم فيه أو إيذائه بدنيا بالضرب مثلا.. لأن هذه الوسائل من شأنها خلق العقد النفسية للطفل..، وليس معنى هذا ألا نعاقب الطفل المخطئ، بل على العكس يجب أن تقابل أخطاء التلاميذ المتعمدة بالعقاب، ولكن المناسب للخطأ وعدم المبالغة فيه، وسنفرد فيما بعد فصلا في كيفية العقاب والثواب.

٥- لا بد من وجود إحصائي نفسي واجتماعي بالمدرسة، ويلعب دوراً فعالاً ويعمل جاهدا على مراعاة نفسية التلاميذ وخاصة أصحاب المشاكل الخاصة، وإذا ظهرت أعراض لأى مرض نفسى أو تحلف دراسى لا بد من دراسة أسبابه وتعاون كل من البيت والمدرسة للوصول بالطفل لبر الأمان.

٦- يجب أن يكون بكل فصل قدر معقول من التلاميذ، بحيث يحقق نوعا من الصلة المباشرة بين المدرس وتلاميذه وهو ما يطلق عليه التفاعل الإنساني.

* * *

المدرسة ودورها التربوى

لا شك أن كلا منا يريد أن يكون ابنه حى الضمير، يقظ الروح، مراقبا لله تنبع سلطة الردع من داخله ، واثقا من نفسه، أميناً، شجاعاً ، متحضر السلوك ، سوى التفكير ، بعيداً عن العقد والاضطرابات بمختلف أنواعها وأشكالها.

ولكن لا خلاف فى أنه لا يكفى أن نريد.. بل المهم أن نسعى سواء آباء أو أمهات أو مربين لتحقيق هذا.. وهذا لا يتأتى أبدا

بالمصادفة.. بل بتبنى فلسفة وسياسة محددتين في تربية الأبناء
لا يمكن أن تخضع لأهواء الكبار وانفعالاتهم وحمقاتهم وإلا
ستكون النتيجة عكسية .

• ماذا نعنى بالتربية؟

التربية هي اكتساب للسلوكيات والعادات التي توفق بين
الفرد وبيئته، ولكن من الضروري أن نفهم هذا التوفيق بمعناه
الفعال وهو السيطرة على الوسائل لبلوغ الغايات .. وهذا
التعريف يعبر لنا عن ناحية جوهرية من نواحي نمو الشخصية،
ويتحقق هذا النمو عن طريق الآباء والمربين والمدرسة وكل المجتمع.
ومسئولية المعلمة بالنسبة للطفل في هذا الصدد مهمة جداً
وخاصة في المراحل الأولى ، ولذا يجب أن تؤهل بدورات تربوية
تتعلم فيها أصول معاملة الطفل والأساليب النفسية التي تقرب
الصغار من قاعة التدريس، وتمنع عدوانهم على بعضهم
البعض.. وتتلقى فصولاً كاملة عن سيكولوجية الطفولة وأنشطتها
وطرق التخاطب معها حتى تستطيع لعب دور البديل عن الأم بكل
مهارة وذكاء موفرة المحبة لجميع الأطفال دون عصبية أو غضب،
وتساوى فيما بينهم في اللعب والاهتمام وتوزيع الحلوى والهدايا
حتى تشعر الطفل أنه لم يفقد حب أمه ولا يترك الانفصال الانفعالي
أثره عليه.

الدوافع فى التربية

كلما استطاعت التربية أن تؤثر فى السلوك تأثيراً يحقق مصلحة الفرد، دون أن يتناقض ذلك مع تقاليد المجتمع الذى يعيش فيه، كلما كانت أقرب إلى تحقيق رسالتها.

والسلوك أساساً يقوم على دوافع داخلية نفسية ويظهر أثر التربية حين يصطدم الدافع بالبيئة .. ونحن فى هذه الحالة نتطلب من التربية أن توائم بين الدوافع والبيئة .. واستغلال الدوافع على نهج صحيح، وبهذا نستطيع أن نكون الشخصية الصالحة.

فمن الممكن مثلاً أن نوجه الدافع لدى الطفل لما فيه صالحه.. فإذا كان دافع حب التملك متملكاً منه فوجهه لجمع أشياء مفيدة.. ومن لديه دافع حب الاستطلاع قوى ندفعه للبحث العلمى مثلاً، ونستطيع توجيه روح المنافسة والمقاتلة للرياضة.. وهكذا حتى لا تحدث اضطرابات داخلية لعدم إشباع الدافع.

والذى لا بد من معرفته أن الدافع يجب أن يكون موجوداً لدى الشخص أولاً ثم نقوم نحن بتعديله وتوجيهه.

ولكن الدوافع وحدها ليست كفيلة أيضاً بتوجيه الطفل الوجهة التى نريدها، ولذا لا بد أن نهيب له مجموعة من العوامل المساعدة، فمثلاً عن طريق الجوائز والمكافآت نستطيع أن نلهب حماسه وندفعه للعمل بقوة.

والحافز والدافع مجرد وسيلة مساعدة لتوجيه الطفل، والواقع أنه يجب أن نشعر الطفل بإيجابيته ونعلمه كيف يعتمد على نفسه حتى يتكشف نبوغه، ويجب ألا يعتمد على الطريقة التلقينية من المدرس حتى لا ينشأ خمولا فى تفكيره ويتعود الاعتماد على غيره، فلا بد أن نعطيهِ فرصة ليفكر بنفسه.. ولكن ما علاقة الدوافع بعملية التعلم؟

الدافع والتعلم

هناك علاقة وثيقة بين الدافع والتعلم، ولا يوجد في الواقع تعلم دون أن يكون مصحوباً بدافع ما. .. ونحن نعلم أن الطفل يتعلم سريعاً وسعادته دائماً تتوقف على مقدرته في اكتساب محبة الآخرين، وهذه الرغبة هي أقوى الدوافع للطفل، ومن هنا فإن كانت رغبة الطفل ودفعه للعمل ترتبطان بحبه لشخص معين يريد إرضاءه، فلا بد لمن يتولى تعليمه أو تدريسه أن يحرك فيه هذه الرغبة بأن يجعله يحبه أولاً ثم يدفعه بوسائله العديدة للعمل وتحقيق النجاحات.

وعلى من يعلم الطفل أيضاً أن يعنى باختيار الموضوعات التي تتفق وميوله وحاجاته المختلفة.. لأنه من الطبيعي إذا كانت الموضوعات التي يتعلمها الأطفال متصلة بميولهم فإن هذا سيعطى لما يدرسونه روحاً جديدة وحيوية ويعطى نتائج سريعة، ويكون أقوى وأعمق مما لو أهمل استغلال ما لدى الطفل من دوافع.

كما يجب على من يعلم الطفل ألا يستند على الدوافع التي لديه فحسب، بل يحثه على المزيد وأن يجعله يشعر أن هناك نقصاً لا بد أن يتممه، وهذا يساعده على اكتساب خبرات وميول جديدة.

وحين يستطيع الطفل أن يحصل على التقدم أو النجاح فيما يوجه إليه يأمل في تقدير الآخرين على أفعاله.. فهذا يسعده كثيراً ويجعله يعمل بصورة أفضل.

ومن هنا نجد أن :

- لا يجب أن نطالب الطفل بأن يقوم بعمل يتجاوز حدود طاقته.. لأننا بذلك نعرضه للفشل والإحباط .

● إذا وجدت عراقيل في طريق عمل الطفل مع التشجيع ودفعه لإزالتها من الممكن أن يحقق النجاح إذا كان في استطاعته ذلك،
وحينئذ سيشعر بارتياح ويقبل أكثر على عمله.

● نحن نعلم أن النجاح يشيع الثقة في نفس الطفل ولكن ماذا لو فشل؟ لو فشل يجب أن نساعد له ليواجه مشاكله ولا نتخذ من فشله ذريعة للتشهير به.

● يجب أن ندرس نفسية الطفل ودوافعه دراسة وافية لمعرفة ما يؤثر عليه في وقت معين ومتى نجازه بجائزة ومتى نعاقبه وما نوع العقاب ونصنف معاملته ونتعرف على ماذا يريد وماذا يرفض وما الوسائل التي تؤثر عليه!؟

● وقد وجد أن الاعتماد على رغبة الطفل هو أقوى مؤثر لأنه من الممكن أن يؤدي الثواب مثلا لنتيجة عكسية حيث يعتاد الطفل على مكافأة في نهاية أى عمل يعمل، فإذا منعت يؤدي هذا لكرهيته لأداء هذا العمل... وهكذا.

● كذلك العقاب.. المبرر الوحيد له هو أن نمنع الطفل من عمل شيء يضره أو يضر الآخرين.. وغالبا نتيجة العقاب سيئة.. فنجد أن الطفل يتستر على جريمته وأخطائه حتى لا يكتشفها الكبار خشية العقاب ولكنه لا يقلع عن ارتكابه للأخطاء.. وقد يؤدي العقاب إذا لم يكن مناسبا للفعل لكرهية الطفل للكبار.. وقد يؤدي لشعوره بالخوف وتسيطر عليه هذه الحالة في جميع أدوار حياته وتجعله مضطربا بطيء التفكير نهبا للوساوس والآلام.

وسنفرد الفصل التالي في كيفية إثابة الطفل وعقابه، ومتى يتم هذا والنتائج المترتبة عليه ولكن بعد أن نتعرف على ميول الطفل ومهاراته وكيفية توجيههما الوجهة الصحيحة .

المبول

لكل إنسان ميول تختلف عن ميول غيره، وهذه الميول على اختلافها لا يمكن الاستغناء عنها في نمو الشخصية وتوجيهها. فمنذ أن يتعرف الطفل على بيئته تنمو عنده دوافع التعلم والميول والاهتمامات الخاصة .

فنجد التلميذ المبتدئ يهتم بالألوان المبهرة وبكل ما هو متحرك وله نشاط مباشر.. وبمجرد دخول الطفل المدرسة تتحول ميوله واهتماماته، فيتقدم التعليم، بينما يتراجع اللعب الذي كان هو النشاط الرئيسي له.

ويسهل على الكبار خصوصا المدرسين ، توجيه اهتمامات وميول تلاميذ الصف الأول الابتدائي . فالتلاميذ في هذه السن يكونون مرتبطين بمدرسيهم ارتباطا وثيقا . لذلك يجب استغلال هذا الوضع في توجيه اهتمامات، وميول تلاميذهم لما ينفعهم مستقبلا ، وبطريقة تربوية سليمة .

ولنمو الاهتمامات والميول يجب أن نقدم المواد التعليمية للتلاميذ بطريقة محببة ، فنقدم لهم النماذج المبهرة والقذوة كالشخصيات البارزة من العلماء والأدباء وأبطال الرياضة المشاهير مثلا .

وإذا اتجهنا لتلاميذ الصف الثاني والثالث الابتدائي، نجد أن تحديد ميولهم من الصعب في هذه السن لتغيرها باستمرار، ويتضح هذا إذا سألت الطفل مثلا عن المهنة التي يرغب في مزاولتها فنسجد أن هنالك تباينا واضحا.

ولكن لا يجب أن نغفل الميول الخاصة في هذه السن التي من الممكن أن تحدد مستقبل الطفل .. مثل حبه للموسيقى أو الرسم أو خلافه .

وسنجد أن اهتمامات التلاميذ في هذه الفترة أيضا تتلاءم مع تفكيرهم وخيالاتهم وأحاسيسهم .. فهم يهتمون بالظواهر الطبيعية والخرافات والقصص المثيرة.. وأحيانا نجدهم يميلون لاهتمامات كثيرة اجتماعية مثلا كبناء الوطن وسياسته ومسائل الحروب والسلام وكفاح الشعوب وخاصة إذا كان هذا له دور في حياتنا ويتنامى لأسماع الأطفال كالفترة التي نحيها الآن وما يشوبها من معارك وحروب .

نأتي لتلاميذ الصف الرابع والخامس فنجد أن الاهتمامات والميول تتغير ، ففي هذه السن تراجع الخرافات وتتقدم قصص المغامرات والأحداث ، فيهتم التلاميذ بقصص الأبطال و حياة العلماء والفنانين، وهذا معناه أن الاهتمام بالحياة الاجتماعية يزداد. وعندما نصل لتلاميذ الإعدادى نجدهم يميلون لقراءة الكتب التي تتكلم عن الشجاعة والعزيمة والاختراع والعبقرية، كما يميلون للكتب التي تتحدث عن أبطال التاريخ ورحلات الفضاء.. وتكون عندهم رغبة ملحة في الاندماج في المجتمع، ويصر الأطفال في هذه السن على قضاء احتياجاتهم بأنفسهم، وبوسعهم تقسيم الاقتراحات وأخذ القرارات بما يتلاءم ونموهم النفسى كما أنهم يميلون للمسائل السياسية والظواهر الطبيعية والأنشطة الاجتماعية، ويقراءون الجرائد ويسمعون نشرات الأخبار ويشتركون في المناقشات .

ولا يجب أن نغفل ميول الأطفال للألعاب الرياضية واللعب، فالتلاميذ ابتداء من السنة الخامسة الابتدائية، يعرفون أسماء اللاعبين ويتحدثون بحماس عن فريقهم المحب وعن فوزه وهزيمته، وكأنه فوزه أو هزيمته هم شخصيا. وتهتم بنات الإعدادى بمظهرهن، وطريقة وأسلوب كلامهن .

ومن واجب مدارسنا أن تنمى ميول التلاميذ وشخصيتهم حسب كل مرحلة وكل سن، وأن يراعى هذا في المناهج التعليمية. كما يجب على المدرس أن يوقظ الميول النافعة، وأن يشجع الميول الشخصية ذات الفائدة .

وعلينا أن نرعى الميول التربوية ، ولا يصح أن نقف في طريق ميول التلاميذ ونتجاهلها .

وهكذا ومما سبق نجد أن الميول ممكن أن توجه الشخصية لفرع معين من فروع الحياة كالميول الفنية أو الرياضية مثلا، وأحيانا نجد أن الفرد يشبع ميوله دون أن يمارسها كالذى يجب الرياضة مثلا ويشجعها ولا يمارسها .. أو الذى يجب سماع الموسيقى ولكن لا يتجه لعزفها.

ونجد في المجال الدراسى وهو ما يهمننا في هذا الصدد أن ميول التلميذ أحيانا تكون لمواد معينة دون غيرها .. فنجده يهمل إحدى المواد لأنه لا يميل لدراستها . وهنا يجب على المدرس أن يقنع التلميذ بأهمية كل مادة بالنسبة للمواد الأخرى من جهة ، ومن جهة أخرى بالنسبة لمستقبل عمله .. ومن واجباته أيضاً أن يقدم المدرس بطريقة تجذب التلميذ وتنمى عنده الميول لحب كل المواد . ولكن حينما يكبر التلميذ ويصل لمرحلته الثانوية يجب أن نراعى ميوله سواء الأدبية أو العلمية والتي يجب عدم تجاهلها .. فالمجال الذي يرغب أن يدرسه، ويجد نفسه فيه لا بد أن نميه حتى نحصل على النتيجة المرجوة منه .

ويؤكد "أنجلس وتالمان" عالما النفس وكثيرون غيرهما إن الميول على اختلافها لا يمكن الاستغناء عنها في نمو الشخصية، وأن توجيه وقت الفراغ توجيهها صحيحا يؤدي لنمو الميول والاهتمامات أكثر.

ويقول "جوركس" إن تشجيع الميول ليس فقط من مهام المدرسة، وإنما يجب أن يكون للمنزل والمنظمات الطلابية والشبابية دور فيه. إن التلميذ ذو الميول المحدودة تكون معرفته محدودة، أما التلميذ ذو الميول العديدة والمتنوعة يكون نشاطه واسعاً.

وفي كل الأحوال يجب أن ندعم الميول تربوياً حتى لا يكون التلاميذ سطحيين، فالميول تحدد النشاط الاجتماعي بصفة عامة، كما أنها تحدد الاتجاه الرئيسي للشخصية.

ويجب أن يكون الشخص غير متقلب في ميوله لحد ما، فالأشخاص الذين تكون ميولهم غير ثابتة ومتغيرة، لا يصل عملهم إلى نجاح ذي قيمة، ويجب أن تكون الميول ذات فاعلية، وأن يعمل الإنسان في مجال نشاط يتناسب وإمكانياته.

ملحوظة: هناك ميول بناءة وأخرى هدامة أو غير صحية وهذه يجب التصدي لها.. كميل الطفل للمغامرة في شتى صورها مما قد يعرضه أحياناً للمخاطر، وأحياناً ميله للمفاخرة والتظاهر مما يجعله يكذب أو يسرق مثلاً.

● كذلك من الممكن أن نقابل أطفالاً لا توجد لديهم ميول إطلاقاً، ويتميزون باتجاه المحايدة نحو كل شيء.. وهؤلاء من السهل انقيادهم للجنح أو السلوك غير الاجتماعي. أما إذا أحب الطفل صديقاً له، أو أعجب بأمه أو مدرسته، فإن احتمال انحداره لأساليب السلوك غير الاجتماعية يكون بعيداً لأن الحب والمشاعر ستقف حائلاً دون ذلك.

المهارات

في أحيان كثيرة نصف شخصا معينا بأنه ماهر في القيام بالعمل الفلاني.. أى يمتلك مهارة معينة تميزه عن غيره .. فماذا نعني بالمهارات وما علاقتها بالنضج؟! .. وهل يمكن لأى إنسان أن يمتلك المهارات التى يريدونها وينميها؟

المهارات هى سلوك مكتسب وأساسها هو التدريب .. وهى قابلة للتطور وتخص أناسا دون غيرهم .

ولكى تنمو خاصة أو مهارة لا بد من عامل النضج الذي يمكن الشخص من القيام بهذه المهارة ، ثم تناولها بالتمرين والتعلم فى الوقت الملائم وإلا فإنها لا يتاح لها أن تصل إلى نهاية نموها الطبيعي .

وتختلف قدرات الشخص عن غيره.. إذ إنها ليست على درجة واحدة بالنسبة لكل فروع الحياة . الأمر الذي يجعله يتميز بأشياء عن غيرها .

وأساس المهارات هو التدريب .. فالشخص الذي يكتب فى موضوع ما، وتكون عنده مهارة فى الكتابة اليدوية. نجده يكتب بطريقة أوتوماتيكية رغم أن انتباهه مركز على محتوى النص . وتكتسب المهارة الأوتوماتيكية غالبا عبر السنين عن طريق التكرار والتمرين . إذن فالمهارات هى سلوك مكتسب وهى جزء أساسى للنشاط .

وغالبا ما تظهر المهارات فى مجال التفكير والملاحظة والأعمال اليدوية.

والمهارات قابلة للتطور. فالرجل الماهر مثلا فى الكتابة على الآلة الكاتبة يمكن أن يطور مهارته ليكتب على الكهربية، ثم يكتب على الكمبيوتر.. إلخ

ملحوظة :

بعض الناس يخلط بين العادات والمهارات .. ولكن في الحقيقة هناك فرق بين الاثنتين :

فالعادة هي حاجة الانسان لأداء سلوك معين ، وإذا امتنع عن أدائه تصبح لديه أحاسيس سلبية .. أى أن هناك أيضاً عادات إيجابية وأخرى سلبية .والعادات الإيجابية هي التي تخدم البدن والنفس وتطابق المعايير الاجتماعية ، وما دون ذلك فيطلق عليها عادات سلبية.

أما المهارة فهي تكتسب بالتجربة والتمرين وتخص أناسا دون غيرهم.

ولذا في مجالنا هنا يجب أن نساعد التلميذ على تنمية مهاراته إذا كان يتمتع بإحداها وخاصة إذا كانت ستفيده في مجال الدراسة أو في حياته المستقبلية .

الفصل الثانى

الثواب والعقاب فى التربية

البعض منا يعتقد أن التربية تتمثل فى العقاب والثواب للطفل.. والحقيقة أن التربية قضية شديدة التعقيد وتتداخل فيها عشرات العوامل والظروف لما سبق وقلنا، والثواب والعقاب مجرد جزء من هذه القضية، وقد آن الأوان لإصلاح بعض المفاهيم الخاطئة فى الطريقة التربوية للنشء وخاصة فى تطبيق الثواب والعقاب لأن التطبيقات الخاطئة فى هذا المجال والتي يبدو معها الثواب شكلا من أشكال التدليل وربط الأعمال الإيجابية بالمكاسب التي يحققها الطالب من ورائها وليس بقيمتها الذاتية - وبدا معها العقاب شكلا من أشكال الانتقام أو تنفيس الغضب. وكل ذلك لا يمكن أن ينسجم مع هدف تأهيل التربية بمنهجها الإسلامى ولا مع متطلبات التربية المعاصرة وحاجة المستقبل لشخصيات فعالة ، قادرة ، تتسم بالثقة بالنفس والقدرة على الإنجاز والانتماء للعقيدة والوطن .

لذا يجب على التربويين ألا يغفلوا دور الثواب كحافز أساسى للتعديل السلوكى .

كما يجب التدرج فى الثواب والعقاب بشكل يتناسب مع حجم ونوع السلوك الإيجابى والسلبى ومراعاة الظروف الشخصية والفروق الفردية والعدالة الكاملة فى الثواب والعقاب وإدراك الطالب التام لأسباب إثابته أو عقابه .

وبعد أن تناولنا فى الصفحات السابقة تعريفا وتوضيحا لماهية التربية. سنتناول أيضا دور الثواب والعقاب فى هذا الجانب

وخاصة العقاب المدرسى والذي يبالغ فيه بعض المعلمين بالعقاب البدنى أو المعاملة القاسية التى بها كثير من الظلم والتى تنفر الطفل من المدرسة والدراسة معتقدين أن هذا فى صالح الطفل.. وقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران ١٥٩).

وَجاء فى الحديث القدسي الطويل الذي رواه أبو ذر الغفاري عن الرسول ﷺ يوجهه المولى الخطاب الحاسم لعباده فيقول تعالى: " يا عبادي.. إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا". رواه مسلم

وبالطبع نفى صفة الظلم عن الله تعالى لا يرتبط بالظلم فى العقاب وحده.. وإنما أيضاً فى الثواب.. فعنده سبحانه لا تضيع الأعمال الصالحة أبداً بل يضاعف لها الثواب فيقول عز وجل ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (الكهف ٣)

كما يقول: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (الشورى ٤٠)

وقد قال الرسول ﷺ موجهاً توجيهاته لأمة المسلمين:

عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله - وإنما يرحم الله من عباده الرحماء"

● لكن لماذا يعاقب الطفل؟ وهل لابد من ذلك؟

بالطبع إذا استرسلنا فى أسباب معاقبتنا للطفل لكتبنا الكثير والكثير، وذلك لتعدد الحالات والأحوال التى يعاقب فيها الكبار صغارهم، لكن من الممكن أن نسرده بعضاً منها، وهى الحالات الشائعة التى يعاقب الطفل بسببها.

مثلاً " الشقاوة " وهى تلك الحيوية المتدفقة والحركة الدائبة التى لا تكاد تتوقف بالنسبة للصغار والتى يرافقها شيئاً من

الإزعاج، وتكسير بعض الأشياء وإقامة معارك صغيرة بين الأطفال وبعضهم البعض مما يجعل الأمهات دائمات الشكوى من أطفالهن الذين لا يهدون ولا يجلسون لحظة منذ استيقاظهم وحتى نومهم وكل ذلك يتطلب في نظر المربين " العقاب " لحمل الصغار على الكف عن " شيطنتهم " وبهذا يقع الكبار في خطأ ووهم كبيرين. الخطأ هنا الذى يقع فيه الكبار يكون لإساءة الظن بتلك " الشقاوة "، واعتبارها ظاهرة سلبية تعبر عن سوء الأدب، وقلة التربية.

أما الوهم فهو بتصورهم أن الطفل سيكف عن حيويته وحركته ونشاطاته بعقابه.

وبالتالى يبدأون فى وضع الأنظمة المحكمة من القيود لتطارد الطفل من البيت للمدرسة وبالعكس.

والحقيقة التى تغيب عن البعض أن الأمر الذى يحدث هو أمر عادى تماما.. حيث إن الحيوية والحركة ظاهرة إيجابية وصحية فى نمو الطفل.. وهى ظاهرة طبيعية بحكم مراحل النمو التى يمر بها. فمثلا عندما يتخطى الطفل سنتى المهد ويرتقى إلى مرحلة الطفولة المبكرة، لابد من أن يجرب مكتسباته من النمو.. مع التغيير والاتساع الحادث فى إمكانيات جسمه والذى ينمو بسرعة فى تلك المرحلة.. فنجد أن عضلاته تنمو ويصبح معها مستعداً للقفز والجري وتسلق الأشياء وتتحول حياته بكاملها إلى اللعب والنشاط الجدى ويكاد يستغرق معظم الوقت فى هذا ونجده يستقل نسبيا عن اعتماده المطلق على من حوله.

أما إذا نظرنا للطفل فيما بعد ذلك، وفى المرحلة التى يطلق عليها الطفولة المتوسطة أو المتأخرة وهى من سن ٦:١٢ سنة، والتى يضح منها الآباء والمعلمون من شقاوته.. فنجد أننا بصدد

ملمح مميز يتمثل في التباطؤ التدريجي للنمو الجسمي مع زيادة طاقة الطفل مما يدفعه دفعا إلى التواثب والتفافز والضحيج واللعب بشكل يبدو لا نهاية له.. وسط دهشتنا نحن الكبار حول مصدر هذه "الشقاوة" و "الشيطنة" كما يطلقون.. ومن هنا يلقي الطفل مقابلهما ضروبا شتى من العقاب.. بينما في الحقيقة هو لا يستحق هذا لأن ما يقوم به يعد طبيعيا مائة في المائة وعدا ذلك فهو غير الطبيعي.

ونجد بعض الأمهات أو المعلمات يتباهين ويثنين أحيانا على طفل هادئ مطيع لا يعترض ولا يتشاجر مع أقرانه ويجلس في مكانه دوما لا يبرحه.. ولكن مالا يعلمنه أن هذا الطفل ليس بالطفل المثالي الذي يجب أن تتحسر الأمهات لأن أطفالهن ليسوا على شاكلته لأن شقاوة الأبناء وضحيجهم ظاهرة صحية وليست علامة مرضية، ولا تدل على عدم الأدب أو سوء التربية إطلاقا لأن هذا الأمر لا يعتمد على الصغار، ولكنه أحد مظاهر نموهم، فضلا عن إمكانية توظيف هذا لصالح نموهم الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي.. فعلام نعاقيهم إذن؟

وهنا تتساءل الأمهات وما الحل؟ هل نتركهم هكذا على فطرتهم دون عقاب أو توجيه؟

لا.. بالطبع يجب أن ننصح ونرشد ونحاول تحقيق نوع من الانضباط ولكن غير الحديدي، فمن الممكن أن نوجه هذه الحيوية لاتجاهات نافعة كلعب الرياضة مثلا.. ولكن في كل الأحوال لا بد أن نسمح بهذه "الشقاوة"، وأن نعذرهم عليها- فكما قلنا هم لا يعتمدون هذه التصرفات- ويجب ألا نتخذها مبرراً لإرواء غيظنا وتنفيس غضبنا.

ولكن هناك أمراً يجب ألا نتهاون فيه، وهو أن يتلفظ الطفل مثلا ألفاظا نابية يكون قد سمعها من الشارع أو غيره أو يقوم

بأفعال عدوانية مبالغ فيها تجاه الآخرين مثلا، هنا لا بد من وقفة وتوجيه وعقاب ولكن غير مبالغ فيه أيضا، أى يكون على قدر الفعل مع التوجيه والنصح.

وفى حالات كثيرة نجد أن الكبار يعاقبون أطفالهم لعدم تحصيلهم الدراسى وتدنى نتائجهم ويرهقونهم بمقارنتهم بذويهم الأكثر تفوقا وهذا الأمر لا يبدو مقبولا ولا منطقيا ولا عادلا إذا كان التقصير لأسباب خارجة عن إرادة الطفل كالعوامل الوراثية وإمكانياته العقلية مثلا، أو عدم الاستيعاب والمناهج غير المناسبة له أحيانا ..

أما إذا كان التأخير بسبب إهماله أو عدم تنظيمه لوقته أو لامبالاته فيكون الطفل مسئولا عن ذلك ويجب توجيهه التوجيه المناسب.

ومن هنا نجد أن الطفل غير مسئول عن الأسباب النفسية والاجتماعية والعقلية التى تتسبب فى تأخره الدراسى، وسنوضح سبل العلاج فيما بعد.. ومن هنا أيضاً نصل إلى نتيجة مهمة، وهى أن المربي الدائم العقاب سواء كان أحد الأبوين أو أحد المعلمين هو إنسان يعلن إفلاسه ولا يملك من الأساليب التربوية ما يؤهله لتوجيه الصغار، حيث اختار طريقا سهلا قصيرا غير مضمون النتائج متجنباً الطريق الطويل الشاق المضمون النتائج والمضمون العواقب .

وستتناول فى الصفحات التالية العقاب والثواب وكيفية ممارستها حتى يأتيا بالنتائج المرجوة حسب رؤية علماء النفس والتربية ولتكن لنا وقفة مع كل منهما.

أولاً : العقاب

تتعدد الحالات وتتفاوت درجات العقاب بحسب المعاقب ومن يعاقب، وبحسب الفعل الذى قام به الطفل.. ونحن لا نرفض العقاب كوسيلة تربية ولكن نرفض فى بعض الأحيان طريقة القيام به.. فنجد البعض يبالغ فيه، وبالتالي يكون رد فعل المعاقب أكثر بكثير مما قام به الطفل.. وفى أحيان أخرى يكون رد فعل المعاقب أقل كثيراً عما قام به الطفل..

وللأسف غالباً ما يأتى العقاب حسب حالة المعاقب النفسية، وهذا كثير ما يضر بالطفل ويجعله مضطرباً.. ومن الواجب ألا تؤثر نفسية المعاقب كالأم مثلاً على عقابها لأبنائها.. فإذا كانت سعيدة لا تلقى بالا لما يفعلون وتتغاضى عن أشياء كثيرة يستحق عليها الأطفال العقاب .. وإذا كانت متضايقه أو مكثبة ينعكس ذلك على عقابها لهم.. فتعاقبهم أحياناً بصورة مبالغ فيها على أشياء تافهة لا تستحق مما يجعل الأبناء فى حالة تحبط واضطراب .. فمن الخطأ أن يحدث هذا لأن هناك أموراً تربية يجب أن يأخذ العقاب فيها الشكل الصحيح وإلا أتى بنتائج عكسية وهذا سنتركه لجال آخر سنطرقه قريباً.. ولكن ما يهمنا الآن هو العقاب المدرسى أو الذى يأتى من أجل الدراسة والمذاكرة والذى يكون الطفل إما مسئول عنه ، وإما غير مسئول وخارج عن إرادته كما قلنا من قبل.

• التقصير الدراسى الناتج عن أسباب خارجة عن مسئولية الطفل وإرادته:

هذا التقصير الذى يصحبه تأخر الطفل فى أحيان كثيرة قد يكون ناتجاً عن عدة عوامل منها:

١- **الوراثة:** تتعلق الناحية الوراثية بالذكاء بصفة عامة، والقدرات العقلية.. إذ إن نسبة كبيرة من الأطفال لا يتعدى ذكاؤهم العام المتوسط ومعظم المناهج الدراسية تصاغ لتناسب المتوسطين في القدرة الاستيعابية فيما فوق.. ومن الطبيعي أن يجد من هم دون ذلك صعوبة في متابعة الدراسة وتحقيق النتائج المرجوة.. وستتناول هذا بالتفصيل فيما بعد في الفصل التالي .

٢- **القدرات العقلية المتنوعة:**

يضم العقل البشرى العديد من هذه القدرات المتنوعة والتي لا تكون على نفس الدرجة من القوة، فنجد مثلا البعض لديه استيعاب القدرة العددية أو الميكانيكية بسهولة ، والبعض الآخر يميل ناحية استيعاب المواد العلمية أو اللغوية أو الأدبية، وينعكس هذا بالطبع على حبه للمواد الدراسية ذات العلاقة بهذه القدرات.

٣- **القصور في العمليات العقلية:**

قد يعاني الطفل من قصور في العمليات الإدراكية والانتباه والتذكر والتركيز... إلخ . وهذا ما قد لا ينتبه إليه الطفل أو المحيطون به، والذي قد يؤثر على مستواه الدراسي سلبا دوناً عنه .

٤- **أسباب اجتماعية بيئية أو نفسية أو انفعالية:**

وتنشأ هذه الأسباب غالباً بسبب من يعيشهم الطفل، سواء كانوا أهله أو أقاربه أو جيرانه ، فنجد مثلا الأسرة المتصدعة وما تتعرض له من كوارث أو أحداث .. فسوة المعلمين أحيانا.. فشل الآباء في تحقيق آمالهم وسعيهم ليحققها الأبناء ولو قسراً .. سخرية بعض المقربين من الطفل ، أو حمايته الزائدة من أهله وذويه.. تفضيل الوالدين طفلاً على الآخر.. شجار الوالدين

وإهمال الطفل.. تأخر النضج الانفعالي والاضطرابات النفسية المتنوعة وما شابه ذلك .. كل هذه العوامل مجتمعة أو منفصلة من الممكن أن تؤدي للتخلف الدراسي للطفل.

كيفية العلاج

لقد تفهمنا أن هناك أسبابا لفشل الطفل في الدراسة. وعدم تحصيله - وقد ذكرنا بعضها- لا يمكن اعتباره مسئولا عنها كالفطرة العقلية مثلا فهو ليس مسئولا عن فطرته العقلية التي فطره الله سبحانه وتعالى عليها.. والظروف الاجتماعية السيئة التي تحيط به: وهو أيضا ليس مسئولا عنها..

وبالتالي فعقابه يكون بلا داع ولا سبب لأن ما يحدث هو ضحية فيه، ويحدث دون إرادته، ويجب أن نسعى لعلاج العوامل المؤثرة عليه نفسيا واجتماعيا وحصارها والوقوف على مضاعفاتها فهي ما نستطيع وإلى حد كبير أن نتدخل فيها بالتغيير والتحسين . أما التأخر الدراسي الناتج عن العوامل العقلية.. فالتدخل فيه غالبا ما يكون محدودا. صحيح أن العلماء المعاصرين يذهبون لإمكانية تحسين الذكاء، ولكنهم يؤكدون في الوقت نفسه على أن المساحة المتاحة للتحسين ضيقة.. فمن الصعب أن يتحول الغبي أو متوسط الذكاء لشريحة أعلى بسهولة.. ولكن علينا أن نأخذ بيده ونضاعف الجهد معه ونوفر له ظروفا بيئية أفضل وألا نشعره بالنقص أو الدونية وألا نحمله ما لا تطيقه قدراته المتواضعة .. بل نبحث معه وداخله عن نقطة مضيئة نستثمرها لصالحه.. أما أن نعاقبه لتواضع قدراته فهذا أمر مرفوض، ومن الممكن أن يعقد المشكلة أكثر.

كما أنه لا يجب أن نعاقب أطفالنا عن اضطراباتهم النفسية أو الانفعالية مثل الخوف والغيرة والحركات اللاإرادية التي تتم عن طريق

القم أو العينين أو الأكتاف ... إلخ.. ولكن لا بد من البحث عن العلاج عند المتخصصين حتى لا نؤدى لنتائج غير مضمونة العواقب .
وأخيراً.. لا بد أن يكون العقاب مناسباً للفعل فلا نبالغ فيه على أى حال .. وأفضل توقيت للعقاب هو الوقت الذى يعقب الفعل مباشرة، فكلما كان فورياً ترك أثره التربوى على الطفل.

الثواب

إن للثواب أهمية كبرى فى عمليات التنشئة الاجتماعية بصفة عامة وفى عمليات التربية والتعليم بصفة خاصة.. فغالبا ما يرافق الثواب ارتفاع الحالة المعنوية للطفل، وتزداد درجة ثقته بنفسه ويدفع لبذل مزيد من الجهد للوصول من جديد لمواقف وإنجازات ونجاحات تؤدى دوماً للثواب. ويكون إهمال هذه الجزئية من جانب الوالدين أو المعلمين أمراً يعكس غيبة المفاهيم التربوية الصحيحة.. وقد قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣٠ الكهف).

﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ (٨٩ النمل).

• ما التوقيت المناسب للثواب؟

تؤكد الدراسات الحديثة لعلوم النفس والتربية أن أفضل توقيت للثواب هو الوقت الذى يعقب الفعل مباشرة.. ففى هذا الوقت تحدث الآثار القسوى التى نريد تحقيقها من خلاله.

• متى نشيب الطفل؟

لا يمكن بالطبع أن نستخدم هذا فى كل ما يقوم به الطفل من أعمال، ولكن هناك نوعاً من الأعمال يؤديها على مدى زمنى طويل وتحتاج منه لمجهودات متواصلة كالإنجاز الدراسى مثلاً..

ويكون الثواب هنا آجلاً لأن هذا يتطلب وقتاً، ولأن الطفل يبذل فيه جهداً مخلصاً وحقيقياً، ويحقق هذه الإنجازات قبل أن يحصل على الثواب.. ولكن من الممكن أن نشجعه بكلمات المديح والثناء واستحسان سعيه نحو الهدف - وهو في هذه الحالة "التفوق" - الذي لا بد من تحقيقه للحصول على الثواب.

• شكل الثواب:

قسم علماء التربية الثواب لقسمين:

الثواب المادى: يتمثل فى الجوائز والهدايا والنقود والألعاب والملابس الجديدة وما إلى ذلك.

الثواب المعنوى: يتمثل فى كلمات الثناء والإطراء والتصفيق إلى وضع علامات معينة فى الكراسات - كالنجوم والصور الملونة وكلمات التقدير والشكر - ومن الممكن منح شهادات التقدير والتفوق ، كل هذا يفيد فى رفع معنويات الطفل ومساعدته على الوصول لما نريده منه.

• ما النقاط التى يجب اتباعها حتى يترك الثواب أثره الفعال على الطفل؟

١- لا بد أن يتناسب الثواب مع ما يقوم به الطفل وأن يسهم فى إشباع حاجاته المادية أو النفسية.. فمثلاً لو طفل متفوق موسيقياً أهديه آلة موسيقية مثلاً ولا يجب أن أهديه كرة.. كذلك ليس من المعقول أن أهدي لطفل ملابس قديمة مثلاً، بل يجب أن تكون جديدة وجميلة.. وهكذا حتى يقوم الثواب بالدور المنوط به.

٢- ينبغى أن ينظر المعلم للفروق الفردية بين الأطفال واختلاف مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية ويتبع تصرفات الأطفال فإذا وجد من بينهم من ينجح للعزلة أو من يشعر بالاضطهاد أو من هو فى حالة معنوية مزرية.. هنا تأتى الفرصة لتقليص

معاناة الأطفال الداخلية بهذه الإثابة، حيث يجعل أقرانهم يصفقون لهم مثلاً إذا أجاب أحدهم إجابة صحيحة أو يقدمون لهم الهدايا البسيطة في أعياد ميلادهم... إلخ.

٣- طريقة الثواب لا بد أن تختلف من طفل لآخر حسب طبيعته..
فمثلاً بعض الأطفال.. ينتشون لكلمات الإعجاب والإطراء، وهناك من لا يهتم بهذا . كما أن هناك أيضاً من يفرح بقلم هدية أو نزهة قصيرة.. وعلى الجانب الآخر يقف المتختم بكل ما يريد وما لا يريد .. فتعجز الجوائز عن الأعمال فيه.
٤- عدم الإفراط في الثواب المادى إلا إذا صادف حاجة ملحة لدى الطفل أو أسهم مثلاً في تنمية مواهبه وقدراته.. والأجدى غالباً الثواب المعنوى.

٥- أشكال الثواب المعنوى لا بد أن تتنوع حتى يكون لها بريق دوماً.. فهناك الشكل التذكاري الموثق للثواب والذي يدوم أثره ربما لباقي العمر كشهادات التقدير أو الميداليات أو الكئوس والصور التذكارية والوثائق أو أرواب التخرج وكل هذا تصاحبه دائماً ذكريات جميلة للشخص ويتذكرها باستمرار، ويتذكر المواقف والأحداث التي رافقت حصوله عليها، ويظل يحكيها بين الحين والآخر مما يذكره دائماً بتفوقه.
ملحوظة : هناك بعض المحاذير التي تجب مراعاتها عند الثواب في التربية حتى لا تترسخ في نفس الطفل وتؤدي لنتائج عكسية منها:
أ- اعتبار الثواب بمثابة رشوة

• هل الثواب في بعض الأحيان يصبح بمثابة رشوة للطفل ؟

يخطئ الكثيرون من الآباء والأمهات والمعلمين في إسرافهم في وعودهم المتكررة للطفل لدرجة أنه لا يقوم بالتزاماته العادية أو تصرفاته الطبيعية - كإنجاز واجباته المدرسية مثلاً، أو التوقف عن الصراخ أو تناول الطعام - إلا إذا حصل على الثمن المقابل لذلك.

وإذا تكرر هذا السلوك دوماً يصبح بمثابة رشوة نقدمها للطفل لنضمن قيامه بالسلوك الطيب أو توقعه عن السلوك المعيب.. وهكذا تفقد الأعمال في نظره قيمتها الذاتية وتتحدد قيمتها بما يجنيه من ربح بسببها.. وبالتالي يكون التطور المنطقي أن يفقد الطفل حماسه إذا ما توقفت الرشوة أو خفضت .. والخطورة تكمن في أنه لو شب على ذلك فستعمم هذه الخبرة على كل المواقف الحياتية مستقبلاً، ويلجأ دائماً بالوسائل السلوكية العكسية للضغط على والديه لكي يحصل على ما يريد.

• إذن ما المطلوب منا لنقوم بذلك؟

المطلوب أننا ونحن بصدد تعزيز السلوكيات الإيجابية للطفل أن نغرس قيمتها الذاتية فيه. بمعنى أننا نوضح له مثلاً أثر سلوكه الطيب على المحيطين به بأن نقول له أن هذا يرضى الله أولاً ثم الناس، أو هذا سيفرح والديه أو معلمه حتى تزيد ثقته بنفسه ويرضى عنها.. وبذلك يكف تدريجياً عن السلوك السلبى لأنه خطأ في حد ذاته وليس لما يحصل عليه.

لكن أيضاً.. هناك شيء مهم يجب أن نضعه نصب أعيننا وهو مراعاة سن الطفل وظروفه حين نحاول غرس قيمة معينة في نفسه.. فمثلاً إذا كان الطفل في سن صغيرة لا يجب أن نسرف في الحكى له عن عقاب الله للمخطئ حتى لا يصاب الطفل بالتوجس والخيفة من أمور لا يستطيع إدراكها في عمره هذا.. ودائماً نقول بشروا ولا تنفروا لأن هذا من الممكن أن يؤدي لنتائج عكسية وعقد من نوع جديد.. ولا يجب مثلاً أن نهدده بأنه إذا لم يلتزم بهذا السلوك سيفقد حبنا له وتدليله- وأعتقد أن هذا أبسط ما نقوله للطفل- ولو تدرى كل أم أو معلمة ما يدور بخلد الطفل ما قالت له ذلك أبداً لأن هذا من الممكن أن يشعره بعدم الأمان الداخلى ويؤدي لنتائج وخيمة لأن الطفل حينئذ سيتحبط فيما سيفعل

خوفا من فقد الحب المحيط به والذي يمثل له في هذه السن الصغيرة الأمان. وهكذا.. وخير الأمور الوسط في كل شيء.

• **لكن ما الطريقة المثلى لإثابة الطفل والتي تحقق ما نرجوه من**

السلوك الطيب؟

الطريقة المثلى في ذلك أنه لا مانع حين يبذل الطفل جهداً مخلصاً في اتجاه عمل ما ويدرك أنه قام به لأنه عمل طيب ويرضى عنه الجميع أن نقول كلمة إطراء أو نمده بقطعة حلوى أو هدية رمزية تناسبه.. ولكن لا نبالغ في ذلك.

• **وماذا لو تحول الأمر عنده لانتظار ثمن ما يقوم به؟**

في هذه الحالة لا بد من وقفة تعيد الأمور لنصابها وموقعها الصحيح حسب حالة كل طفل وبطريقة تربوية سليمة حتى لا نخرج بالثواب عن الإطار التربوي وعن الوظيفة التحفيزية التي ينبغي أن يلعبها.

ب- الثواب والغرور:

• **هل من الممكن أن تؤدي إثابتنا للطفل للغرور؟**

نعم ، بالفعل ممكن أن تؤدي لغروره.. فعلى الرغم من الأهمية القصوى للثواب في تربية أطفالنا إلا أن استخدامه في التربية يجب أن يكون بحذر وبحساب حتى لا نفسد بإسرافنا ومبالغتنا في الثواب والإطراء والإشادة أولئك المتفوقين والمبدعين والموهوبين الذين يفسدون بسبب المبالغة في التدليل بكافة أشكال الثواب المادى والمعنوى الذى يتصاعد ويتسابق الكثيرون إليه فيتسلل خيفة لداخل هذا المتفوق الشعور بأنه يختلف عن ذويه وأنه مميز عن البشر ويتضخم هذا الاحساس بداخله فيخطئ في تقديره لذاته.. ويبدو هذا واضحا بالنسبة لمن يحققون إنجازات رياضية وفنية بصورة خاصة.

أما في حالات التفوق الدراسي، فنجد أطفالاً وناشئين يصابون بالهلع والذعر إذا انخفضت درجاتهم ولو قليلاً عن النهايات العظمى وذلك لإحساسهم بأنهم لا بد أن يكونوا أفضل من الآخرين.

وقد تظهر هذه الأعراض أيضاً على الوالدين، حيث الاعتزاز بأبنائهم وبناتهم فيكثر من الإشادة بهم وإطرائهم أمام الآخرين وتمييزهم بالهدايا والمعاملة المبالغ فيها .. فنجد مثلاً أما تذهب للمدرسة وتثير ضجة لأن ابنها هبطت درجاته درجة أو درجتين، وفي هذه الحالة نجد الطفل فخوراً وسعيداً بما فعله أمه ويصل لأسماع أقرانه ويقف بينهم مغروراً.. وهذا له خلفياته النفسية على المدى الزمني البعيد.. ويقف على الجانب الآخر الأب الذي فشل في حياته من قبل فيحاول أن يحقق نجاحاته، من خلال ابنه دون النظر لإمكانات هذا الطفل العقلية والنفسية، فيظل يثقله بالرشاوى والإكراميات ليحقق النجاح الذي يرجوه دون أن يعلم أنه يفسده بذلك، وأن هناك طرقاً تربوية لا بد من مراعاتها ليكون الطفل سوياً مستقبلاً.

ج- الثواب والتنافس:

• هل يدخل التنافس في مجال التحصيل الدراسي؟ وما الدور المنوط بالثواب هنا؟

الكثير من النشاطات الإنسانية ذات الطابع التنافسي كالرياضة والفنون وغيرها يكون للثواب أثر كبير في تحقيقها.. ويدخل التنافس إلى مجال التحصيل الدراسي أيضاً.. وبالتالي يدخل كل بيت بإرادة الوالدين وأحياناً بدون إرادتهم .. وعلى الرغم من تشجيعنا للتنافس الشريف الذي يعطى أفضل النتائج، إلا أن هناك التنافس المقيت المزعج الذي يتحول إلى هدف مجرد ذاته..

وهذا التنافس غالبا ما يتم بين أفراد متفاوتين في قدراتهم وإمكانياتهم فيكون التنافس غير عادل، وبالتالي الثواب المترتب عليه ظالما ومجبطا للكثيرين..ومن هنا لكى يظل الثواب فى إطاره التربوى لابد أن يتم بين أفراد من نفس الأعمار ومتقاربين فى إمكانياتهم وقدراتهم.

ولكن ومالا يلاحظه البعض هو مدى المعاناة التى يشعر بها من لم يثابوا.. ومن الطبيعى ألا يحصل الجميع على الثواب.. وغالبا ما يحصل عليه الأقلية.. ولكن ماذا عن الأكثرية؟ غالبا ما يشعر الذين لم يثابوا بشكل من أشكال الإحباط والغيرة، بل إن البعض يشعر بأن حصول غيره على جائزة مثلا هو نوع من أنواع العقاب بالنسبة له وخاصة إذا كان متفوقاً.. ويجب على القائمين على أمر الثواب مراعاة ذلك الأمر بمحاولة تخفيف الآثار الواقعة عليهم بتشجيعهم ولو بالكلمات ودفعهم للأمام ليصلوا كما وصل غيرهم وخاصة إذا كان عندهم استعداد.. وأن يوجهوا الفائز بعدم التعالى على أقرانه ومكابدتهم بفوزه... إلخ.

• وماذا عن المتحسنين نسبيا وغير المتفوقين ولكنهم يسعون؟

ينبغى أن نمدحهم باهتماماتنا أيضاً ونحمسهم للتفوق.. فالطفل الذى حصل على درجات منخفضة فى إحدى المواد، ثم تقدم فيها بعد ذلك فى الاختبار التالى محققا درجات عالية.. أو كان قد رسب فى إحدى المواد ثم سرعان ما استوعب الموقف واجتهد ونال نجاحاً.. لابد من إثابته على قدر مجهوداته تعريزا لسعيه نحو الأفضل ودرءا لإحباطاته السابقة .

وفى النهاية ومما سبق تتضح الأهمية الكبرى للثواب فى عمليات التنشئة الاجتماعية بصفة عامة، وفى عمليات التربية والتعليم بصفة

خاصة.. ويكون إهمال هذا الجانب من الأبوين أو المعلمين له أكبر
آثاره السيئة على النشء..

وقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾

(النمل ٨٩)

وقال أيضاً: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾

(الزلزلة)

وأخيراً: وبعد أن استعرضنا العقاب والثواب في التربية كل
على حدة يمكن القول أن أساتذة التربية المعاصرين اتفقوا على أن
الثواب يسهم في إشباع حاجات أساسية لدى الإنسان، كالحاجة
إلى تقدير الذات أو توكيدها والحاجة أيضاً إلى التقدير
الاجتماعي، كما اتفقوا على مجموعة من الاعتبارات المهمة المتعلقة
بالثواب في التعليم بالمقارنة بالعقاب أهمها:

- ١- إن أثر الثواب إيجابي في حين أن أثر العقاب سلبي.
- ٢- إن أثر الثواب في التعلم أقوى وأبقى من أثر العقاب ، فالمدح
أقوى وأفضل من الذم .
- ٣- إن أثر الثواب أكثر دواما واستمراراً وتواصلاً من أثر العقاب
الذي يكاد أن يكون أثره مؤقتاً .
- ٤- إن أثر الثواب في الغالب يضمن تكرار وتثبيت السلوك المثاب
عنه، بينما لا يضمن العقاب الكف عن السلوك المعاقب عليه.
- ٥- إن للعقاب إذا لم ينبثق من رؤية تربوية سليمة، نتائج سلبية
وقد تكون خطيرة ومدمرة في مستقبل الفرد بعكس الثواب إذا
طبقت مع مراعاة المحاذير التي سبق وقلناها.

الفصل الثالث القدرات العقلية

العمر العقلي للطفل

عادة ما نصنف الناس في حياتنا اليومية إلى سويين أو عاديين، وممتازين أو موهوبين ، وضعاف العقول.

والواقع أن أساس هذا التقسيم لا غبار عليه إذ إننا نصنفهم على أساس تكيفهم مع العالم الخارجى بطريقة صحية سليمة وما يتيح لهم تكوينهم العقلي من أن يسلكوا سلوكاً مستقلاً في موقف اجتماعى معين بشكل إيجابى فعال ، وهؤلاء ما نطلق عليهم بصفة عامة أناس عاديون .

أما الممتازون فإنهم رغما عن صحة تكيفهم مع المجتمع الخارجى إلا أنهم يحاولون إجراء بعض التغيير فيه إلى ما يعتقدون أنه أحكم وأصح.. وأولئك هم المسئولون عن الحضارة وتقدم الجنس البشرى.

أما ضعاف العقول أو المتخلفون عقليا فأولئك فئة من المجتمع تحتاج منا لتوجيه خاص ورعاية معينة نظراً لعجزهم عن التوافق معه.

• والسؤال الملح هنا..

• هل يختلف العمر العقلي للطفل عن السن؟

لقد لاحظ بعض المعلمين في المدارس أنه يوجد بعض الأطفال غير قابلين للتعليم. بمعنى أن قدراتهم على التعلم ضعيفة.. بحيث لا يمكن أن تجدى معهم الأساليب المتبعة مع ذويهم .. ولذا وجب

تحديد العمر العقلي للطفل وليس السن حتى يمكن الوقوف على مدى استيعابه وما يجب أن نمده به من معلومات وتكون ذات فائدة بالنسبة له.

• ولكن كيف لنا أن نقيس العمر العقلي للطفل؟

يتم قياس العمر العقلي للطفل عن طريق اختبارات معينة بأن نأخذ شريحة عمرية معينة كعينة، ونضع لها بعض الأسئلة المناسبة لسنها.. ثم أقل وأكثر.. فمن يجيب عن أسئلة أقل من عمره فسيكون العمر العقلي أقل.. وإذا زاد سيكون عمره العقلي أكبر، وإذا ثبت مستواه فسيكون عمره العقلي مناسباً لعمره السنوي وهكذا.

• وهذا يوصلنا لسؤال مهم أيضاً.. ماذا إذا وجدنا من اختباراتنا فرداً يتمتع بنسبة ذكاء معينة، فهل تثبت هذه النسبة في مختلف سني حياته؟

في الحقيقة نسبة ذكاء الفرد لا يمكن استخلاصها بشكل دقيق في مراحل نموه المختلفة، وذلك لأن العوامل الانفعالية وظروف البيئة تؤثر في سلوكياته وفي الشروط التي يجري فيها اختبار الذكاء.. فلا توجد ثمة تغيرات في القدرة العقلية بصفة عامة.. ولذا فالخلاصة أن الذكاء نسبة حيوية قابلة للتغير.

• إذن ما النسب التي يمكن أن نحدد بها صفات الشريحة العمرية؟

هذه النسب معروفة لعلماء النفس والاجتماع، حيث يعتبرون ضعف العقول هم الذين تقل نسبة ذكائهم عن ٦٥٪ وبهذا يكون عمرهم العقلي متأخراً عن عمرهم الزمني.. ولكن لن يلاحظ أحد ذلك في طفولتهم المبكرة لأن الفرق لا يكون واضحاً، وكلما زاد نضجهم الجسمي وزاد عمرهم الزمني نجد أن الفرق بين العمرين أصبح واضح المعالم.. بحيث يمكننا أن نميزهم بسهولة في سن التاسعة أو العاشرة.

وعلى العكس .. الموهوبون أو العباقرة فإن زيادة أعمارهم الزمنية في مراحل الطفولة المبكرة والمتأخرة قد لا تكون واضحة المعالم، ولكن الفرق بين العمرين قد يبدو واضحاً في مرحلة المراهقة وبعدها بقليل يبدو التميز واضحاً جلياً.

وأخيراً.. الذكاء لا يقاس بطريقة مباشرة ولكن تظهر الفروق بين الأفراد في أدائهم لبعض المواقف وقدراتهم الكامنة داخلهم وراء هذا الأداء.

• ولكن ما قيمة أن نبحث ونقيس مستويات الذكاء عند الأفراد؟

هناك قيمة مزدوجة لهذا، أولاً: القيمة التشخيصية وهي تفيد في كشف القدرات الكامنة لدى شخص معين، ثانياً: القيمة العملية وهي تفيد في كيفية توجيه هذا الشخص نحو العمل الذي يصلح له وغير ذلك.

أما من الناحية التعليمية - وهذا ما يهمنا هنا - فيمكن فصل الأطفال الأسوياء عن أولئك الذين يعانون من تخلف في قدراتهم العقلية .

وهذا الفصل يكون في مصلحة الطرفين لأن كما قلنا من قبل المشكلة تكمن أكثر في الضعف العقلي، حيث يحتاج أصحاب هذه الحالة لتوجيه خاص ورعاية معينة نظراً لعجزهم عن التوافق مع المجتمع المحيط بهم.. وهذا التوجيه يشمل أنواعاً من التربية والتدريب تختلف عن تلك التي تمنح إلى الأسوياء من الناس.

ومشكلة الضعف العقلي تمثل مشكلة تعليمية كبرى، حيث إن المتخلف عقلياً تكون قدرته على التعليم ضعيفة إلى الحد الذي لا يفيد معه النظام التعليمي المعتاد الذي يتبع مع أقرانه الأسوياء وخاصة أنهم لا يتمكنون من التوافق الاجتماعي السليم وحاجتهم للغير والمساعدة الخارجية تكون ملحة ولكن لا بد أن يكون الإشراف عليهم على أسس سليمة حتى يمكن أن نصل بهم لمستوى الإنسان العادي أو ما يقارب ذلك.

• فماذا لو تركناهم على حالهم؟

لو تركناهم سيكون في هذا ضرر علينا وعليهم لأنهم لا يميزون بين الشرعى وغيره أو بين الصالح والطالح مما قد يسبب أضرارا لهم وللمحيطين بهم وسنتطرق للتخلف العقلى وأسبابه وطبقاته وكيفية مساعدة الأطفال المصابين به بإسهاب وإيضاح لما لذلك الموضوع من أهمية.

التخلف العقلى

يقول "ملر هجمان" العالم النفسى أن التعبير الدارج "التخلف العقلى" لا يدل على عجز فى أجهزة الحس، وإنما يدل على عجز المخ.. ويرجع هذا التخلف بصفة عامة لعدة عوامل إما وراثية أو اجتماعية أو نفسية وأسبابه عديدة ولا حصر لها .

ويمكن التعرف على هذا التخلف فى سن الرضاعة.. ويظهر هذا من أول ضحكة للطفل .. والأطفال المتخلفون يتأخرون فى تعلم الكلام، كما تتأخر عندهم مرحلة اللعب عن الأطفال العاديين لأنهم لا يفهمون كيف يلعبون .. فنراهم يلعبون مع من هم أصغر منهم سنا.. ولا تستغرق ألعابهم وقتا طويلا.. كما تأخذ ألعابهم طابع التكرار، بعكس الطفل السليم الذى يكتشف دائما عن طريق اللعب خواصَّ جديدة للأشياء ويكتسب المهارات.

ونجد أن المتخلفين عقليا سريعو الانفعال ويتأثرون بمن حولهم.. لذلك نجدهم ينصرفون عن الدرس بسهولة.. كما أن تفكيرهم متناقض لذا يصعب عليهم تعليل الظواهر، كما يصعب عليهم فهم المعنويات والاصطلاحات. ويزداد فشل المتخلف عقليا على مر سنوات الدراسة، وذلك كلما انتقل من سنة دراسية إلى أخرى.

وكثيرا ما ينحرف التلاميذ المتخلفون بسبب عدم قدرتهم في الحكم على الأشياء، إذ يسهل على الخارجين على نظم المجتمع اقتيادهم لأنهم لا يدركون عاقبة ما يقومون به وخصوصا أن الانفعالات تؤثر عليهم أكثر من المعايير الخلقية..

• أسباب التخلف العقلي؟

يقول "شلتس آرسم" إن التخلف قد يكون وراثيا، وقد يكون نتيجة لأمراض أصابت الأم من تسمم أو إشعاعات تعرضت لها أثناء الحمل. كما أنه من الممكن أن يكون التخلف العقلي نتيجة لأضرار تعرض لها الطفل عند الولادة، مثل نزيف المخ مثلا. وأحيانا يبدو التخلف العقلي واضحا في بعض الأسر بصورة ملقطة للنظر، وقد يحدث التخلف أحيانا لبعض الأسر في جيل كامل وخاصة في العائلات مدمنة الخمر. كما أن هناك بعض الأطفال يتخلفون نتيجة للعلاقات الأسرية السيئة .. وإذا انتقلوا من هذه البيئة في سن الرضاعة لبيئة أخرى ولقوا اهتماما فأنهم يتطورون ويتقدمون.

ملحوظة :

يجب ألا نحدد العمر العقلي للطفل بالامتحانات فقط، وإنما بالمراقبة الدقيقة له ولفترات طويلة .
ويجب وضع التلاميذ المتخلفين في المدارس المتخصصة كل حسب درجة ذكائه، ويكون ذلك حسب معايير علمية محددة..
ويجب معرفة التلاميذ المتخلفين ونسبة تخلفهم في وقت مبكر - أي قبل سن المدرسة - وإذا كان يصعب هذا بسبب صغر سنهم، ولكن الأمر يحتاج لمراقبة دقيقة من التربويين والمربيين في مدارس الحضانة.

ويحدثنا "أسترسكى جلنتس" عن ضرورة مراقبة الطفل قائلاً :
"يراقب الطفل أثناء العمل والنشاط للتعرف على ميوله وتخيلاته
كما يراقب لمعرفة قدراته مثل الرسم، والقدرة على التعبير بالكلام
ودرجة استيعابه، ويجب التعرف على ثروة الطفل اللغوية، كذلك
انفعالاته وقدرات جسمه العضلية " .

وقد يكون الطفل فاشلاً في دروسه وليس معنى هذا أنه
متخلف عقلياً وإنما يرجع فشل الدراسة إلى خطأ الأسرة في
التربية.. وذلك بتعنيف الطفل ومعاقبته باستمرار مثلاً، فيخاف
الطفل من العقاب ، أو بتدليله الزائد أو بإهماله، والأسباب كثيرة
وعديدة .. ولكي نحافظ على أبنائنا لابد من اتباع المعايير التربوية
بعناية.

* * *

طبقات التخلف العقلي

نعود بحديثنا إلى التخلف العقلي الذي ينقسم بدوره إلى ثلاث
طبقات، حيث تختلف نسب الذكاء بين المتخلفين أيضاً، ولذلك
يجب الانتباه لهذا حتى تتمكن من إفادتهم.

الطبقة الأولى: ويقال عنها طبقة " العته " وهذه أقل الفئات
حظاً في الذكاء، حيث تكون نسبة ذكائهم حوالي ٢٥ درجة
فأقل.

الطبقة الثانية: ويقال عنها طبقة "البله" وتتراوح نسبة ذكائهم
بين ٢٥:٤٥ درجة.

الطبقة الثالثة: ويقال عنها طبقة ضعاف العقول أى "المورون"
وتتراوح نسبة ذكائهم بين ٤٥:٦٥ درجة.

والحقيقة أن هذه الفواصل ليست دقيقة كل الدقة والواقع أن
ضعاف العقول يمثلون سلسلة متصلة من أقصى درجات الضعف
العقلي إلى أقلها.. وسنستعرض هنا كل طبقة لتوضيح الفروق فيما
بينها .

أولا : الطبقة الأولى:

العتة "**idioey**": نسبة الذكاء في هذه الطبقة حوالى ٢٥ درجة
فأقل.. وهى أقصى حالات الضعف العقلى، ويكون الضعف في
هذه الحالة شديداً لدرجة كبيرة، بحيث إن المعتوه لا يستطيع أن
يدرك الأمور الخارجية إدراكا واضحا، ولا أن يعصم نفسه من
الخطر الذي يهدد حياته.. والكثير من المعاتيه تعوزهم القدرة على
المحافظة على الذات ولا يستطيعون أداء أى عمل إطلاقا، بل
أنهم في حاجة إلى من يلبسهم وينظفهم ويعنى بهم في أتفه
الأمور الحياتية مثلهم مثل الأطفال الصغار.

ثانيا: الطبقة الثانية:

البله "**embecility**": نسبة ذكائهم تتراوح بين ٢٥:٤٥
درجة، وهى المرحلة الوسطى من الضعف العقلى ، والبلهاء
يتميزون عن المعاتيه فى أنه يمكن تعليمهم وتفهمهم الكثير من
الأخطار وطرق المحافظة على أنفسهم ولكنهم لا يرتفعون لطبقة
ضعاف العقول .. فهم بالكاد قابلون لتعلم إجراء بعض الأعمال
البسيطة المعتادة تحت الإشراف والمراقبة إلا أنهم عادة غير
قادرين على متابعة حياتهم ولا المساهمة المادية فى كسب
عيشهم.. وهم يحتاجون إلى من يهتم بهم فى غسلهم ولبسهم
والعناية بهم.. ولا يمكن تعليمهم القراءة إلا بعض الكلمات
ذات المقطع الواحد.

ثالثاً: الطبقة الثالثة:

الضعف العقلي " feeble mindedness or moronity " أو ما يسمى بـ الخلل الذهني أو المورونية: نسبة ذكائهم بين ٦٥:٤٥ درجة.

وهذه المرحلة تكون حلقة الاتصال بين البلهاء والأغبياء جداً "dull" وهم يمتازون عن البلهاء في أنه يمكن تعليمهم بعض الأعمال التي قد تدر عليهم ربحاً أو أجراً يكفي لعيشهم وهم يقولون عن الأغبياء جداً في أنهم لا يستطيعون تكيف أنفسهم مع مواقف جديدة خارجة عن نطاق خبراتهم السابقة.. وتنقصهم بعض نواحي النضج العقلي مثل القدرة على بعد النظر وعمل بعض الخطط لمستقبلهم، وعدم القدرة على تحقيق أى خطة تجعل لهم وجوداً مستقلاً بعيداً عن المراقبة أو الإشراف الخارجى..

فمثلاً على الرغم من قدرتهم على كسب قوتهم إلا أنهم لا يستطيعون الإشراف على صرف ما يكسبون، وأحياناً يفقدون القدرة على التميز بين الخطأ والصواب، كما أنهم ضعاف القدرة على تحمل المسؤولية وتقوى لديهم الدوافع غير الاجتماعية ومن الممكن أن يصبحوا خطراً يهدد المجتمع.

أما من حيث القدرة التعليمية وهو ما يخصنا في هذا المجال - فهي تختلف اختلافاً كبيراً.. وكثير منهم يمكن تعليمه المبادئ الأولى للقراءة والكتابة والعمليات الحسابية البسيطة وبعض المعلومات المدرسية العامة، وقليل منهم من يستطيع أن يستفيد من التعليم العام ، ولذا لجأت الدولة لنظام تعليم خاص بهم

وأقامت لهم مدارس ومراكز تعليمية حتى تمكن إفادتهم والإفادة منهم فهم ليس لهم ذنب فيما جبلوا عليه وهذه مشيئة الرحمن - عز وجل -.. وهم من أطلق عليهم أصحاب القدرات الخاصة، ولقد وجهت الدولة اهتمامها الكبير لهم وخاصة في الفترات الأخيرة.

• بعض الملحوظات :

- أحيانا يتمتع الطفل بقدرة لفظية "قوية" فيكون محدثا لبق الأسلوب، سهل التعبير وهذه قدرة خاصة يتمتع بها ربما تضلل المدرس أو الإخصائي في قياس نسبة ذكائه .. فيتخيّلون أنه أذكى مما هو عليه.
- كما أننا من الممكن أن نجد بعض الأطفال يمتازون بقدرة خاصة في المهارة اليدوية، ومن الممكن تنمية هذا عن طريق المدرسة والبيت.
- كثيراً ما تكون للذكاء مشاكله كالغباء تماماً.. فإذا لم يوجه الطفل الذكي في كيفية استخدامه لذكائه.. اتجه للتعبير عن هذا النشاط العقلي الزائد بأساليب من الممكن أن تضره وتضر من حوله، وهو ما نطلق عليه أحيانا " الشقاوة أو الشيطنة".
- وفي النهاية وقبل أن ننهي حديثنا في هذا الموضوع لا بد أن نتعرض ولو بنبذة صغيرة عن الذكاء وماهيته وما المقصود به.

الذكاء

نود أن نشير أولاً إلى أن " الذكاء " في علم النفس مصطلح علمي له مدلول معين محدد ويعود الفضل في تدويل كلمة "الذكاء" أو مرادفها "القدرة العامة" إلى جولتون **Golton** وبينه **Binet**، فقد حاول هذان العالمان الرائدان في مجال علم النفس أن يضعوا من الاختبارات ما يقيس "القدرة العامة"، وقد كانا يعتقدان أنها فطرية، وأن أثر البيئة عليه ضعيف إن لم يكن معدوماً .
وكي نستطيع أن نتبع طريقة معالجة الذكاء يحسن أن نبدأ الحديث بوجهات النظر التي حاولت أن تدرس هذه الظاهرة السلوكية من حيث إنها ظاهرة حيوية اجتماعية .

• الذكاء من الناحية العضوية :

المقصود بالذكاء من الناحية العضوية أى الحيوية: إمكانية نمط معين من السلوك الكامن في التكوين الجسمي للكائن الحي ، بمعنى أن كل كائن حي معد لأداء أنماط معينة من السلوك حسب تكوين الجسم ويعد هذا الكائن ذكياً إذا كان يستعمل هذه الإمكانيات في المواقف التي تدعو لاستعمالها وهذه القدرة - بهذا المعنى - مورثة .

وهكذا حاول علماء النفس الفسيولوجيون أن يعرفوا الذكاء على أساس التعريف السابق أى أنه مورث .

• الذكاء من الناحية الاجتماعية :

يرتبط الذكاء ببعض العوامل التي هي نتيجة التفاعل الاجتماعي أو التنظيم الاجتماعي في البيئات المختلفة ، وقد تسمى هذه العوامل أحيانا بالنظم الاجتماعية ، بيد أنها تتكامل جميعاً فيما يسمى "بالثقافة العامة" وهذه النظرة تعتبر أن هناك عوامل اجتماعية

تدخل فيما يطلق عليه "السلوك الذكي" أو "التصرف الحسن" فمثلا القدرة على استعمال الرموز كاللغة والأعداد. واستعمال المعاني للمدركات الكلية كالمادة والقانون والحق والواجب . مثل هذه العوامل الاجتماعية تؤثر في سلوك الفرد الذكي - أى تؤثر - في قدرته على معالجة المشاكل التي تواجهه بنجاح.

• الذكاء من الناحية السيكلوجية :

يرى علماء النفس أن المقصود من الذكاء نمط السلوك الذي يحدده نوع معين من الاختبارات .. ويتمثل السلوك الذكي حينما يوجد الكائن الحى أو الفرد فى موقف معين ولديه دوافع للوصول إلى غرض يشبع به حاجة معينة ، ولكن الوصول لهذا الغرض من الصعب فكيف يتصرف الفرد حيال ذلك؟ وكيف يزيل العقبة أو الصعوبة التي يواجهها؟ وهنا يظهر السلوك الذكى فى طريقة تغلب الفرد والوصول لغرضه الذي يشبع حاجته . وهنا يكون للذكاء معنى جديد أى يصبح من خواص السلوك ، ويمكن أن نقول إن الذي يحقق غرضا أو منفعة سلوكه ذكى .

• ولكن ماذا عن الذكاء من وجهة نظر رجال التعليم؟

الذكاء من وجهة نظرهم يأخذ شكل الاستعداد الدراسى والنجاح فى المدرسة أو التنبؤ عن النجاح فى ناحية دراسية معينة، ولذلك فهم حينما يتحدثون عن اختبارات الذكاء إنما يتحدثون عن اختبارات الاستعداد الدراسى وينحون جانبا إثر هذه الاختبارات فى غير ذلك من المواقف .

والخلاصة التي نستشفها من ذلك: هى وجود علاقة بين كل هذه الأساليب حيث أنها كلها تشترك فيما يسمى الأداء العقلى . وهذه الرابطة يمكن أن نعبر عنها بما يسمى بالقدرة العقلية العامة أو قدرة القدرات .

إن الذكاء استعداد يرثه الطفل، شأنه في ذلك شأن الخصائص الجسمية والانفعالية التي تنقلها جملة الاستعدادات الوراثية "الجينات" من الآباء والأجداد للأبناء.

إن النمو العقلي يكون بطيئاً في الصغر ويأخذ في الإسراع خلال فترة الطفولة المتأخرة حتى مرحلة المراهقة المبكرة.

إن النمو العقلي لا يستمر في زيادة مطردة بل يقف عند سن معينة وهي تختلف باختلاف الأفراد ، فمثلا في حالة الأشخاص النابهين يستمر هذا النمو حتى حوالي سن العشرين ، بينما في حالة متوسطى الذكاء يقف عند سن السادسة عشرة على الرغم من أن الذكاء استعداد فطري إلا أن هناك بعض العوامل البيئية التي تلعب دورا مهماً في إثارة هذه القدرة ومن بينها:

- تعليم الطفل المدرسى .
- الحالة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية في الأسرة .
- الرفاق وأثرهم .
- الحالة الصحية .

فقد يحدث أن يولد طفل مزود بقسط كبير من الذكاء ولكن سوء الحالة لن يتيح لقدرته العقلية الظهور بدون القدر الذى يدل عليه.

الفصل الرابع

المدرسة ودورها التعليمي

إذا كنا قد بدأنا بدور المدرسة الاجتماعي والتربوي فهذا لما لهما من تأثير خطير في نفوس الأبناء - برغم تهميش هذا الدور في الوقت الحالي - ولكننا لا بد أن نتعرض أيضا للدور المدرسة الأساسي التعليمي، لأننا أصبحنا نشارك فيه بصفة أساسية نظرا للظروف التعليمية التي نمر بها.. فنحن لو شاركنا المدرسة في تعليم أبنائنا وإكسابهم خبرات متنوعة منذ الصغر واكتسبت صفة الثبوت والاستمرار سيتحول هذا لعادة وسلوكيات جيدة، وهذا هو لب عملية التعلم والتربية.. فمثلا من الممكن أن يكتسب الطفل عادات شخصية تتعلق بمظهره وأسلوب حديثه وطريقة تفكيره ، وممكن أن يكتسب عادات اجتماعية مثل احترام الفرد لنفسه ولغيره ويكون اتجاهات اجتماعية كإكتساب القيم وتقدير حرية الفرد.....إلخ.

وهنا قد نصل لماهية التعليم بمعناه العام في حياتنا اليومية ، وهو في هذه الحالة محصلة تفاعلات الطفل مع بيئته، وهو الذي على أساسه يحدد أداء الفرد في أى وقت وفي أية لحظة.

• أما من الناحية العلمية فالتعلم عملية فرضية لا نلاحظها مباشرة إنما نستدل عليها عن طريق النتائج المترتبة على بعضها مثل أى عملية في العلوم الطبيعية أو المغناطيسية وغيرها.

وأخيرا.. فالتعلم كما سبق قلنا يبدأ منذ اللحظة الأولى التي يولد فيها الكائن الحي، ولاشك أن عملية التعليم أكثر ضرورة للإنسان منها لدى أى كائن حي آخر نظرا لأنه يعيش في مجتمع متحضر معقد له أساليبه الخاصة والعامة، ولا بد أن نقف على أنماط معينة من السلوك حتى نحقق الغرض من سيكولوجية ما نتعلم وهو

التغيرات شبه الدائمة في سلوك الأفراد والجماعات والتي تتيح لهم أداء أصعب الأمور الفكرية والعملية بأبسط طريقة ممكنة وبأقل مجهود.

- بعد أن تعرضنا من قبل لمراحل التعليم المختلفة والهدف من تقسيم التعليم إلى مراحل فيما سبق، لابد أن نقف على نقطة مهمة وهى أن كل مرحلة فى حاجة لمنهج تسير عليه لتحقيق الغرض المرجو منها.

المنهج الدراسي

المنهج ليس المقصود به المواد الدراسية التى يدرسها الطلاب - كما كنا نتخيل من قبل - ولكن هذه المواد جزء منه حيث إن المنهج يشمل كل الخبرات التى يمارسها الطلاب فى مدارسهم من أول الطابور المدرسى ، وطرق تحدثهم مع مدرسهم ، وطريقة الاستعارة من المكتبة ، وكيفية حل الخلافات بينهم ، إلى كل النشاطات الخاصة والعامة تدخل جميعها تحت إطار المنهج الدراسي.

طريقة التدريس

أما طريقة التدريس فهى الوسيلة التى تتبع فى تدريس أى مادة وهى تختلف من مادة لأخرى .. فهناك مادة يتحقق تدريسها بالطريقة الكلية، وأخرى بالإلقائية، وثالثة بطريقة الوحدات.... إلخ.. وهذا يتحدد حسب المادة ومرحلة التعليم الدراسية.

دور المدرس

كما ذكرنا آنفا تقع على عاتق المدرس مهام ومسئوليات جسام، وغالبا ما تتكون علاقات شخصية بين المدرسين كأفراد

والأطفال، وهنا لا تقتصر مسئولية المدرس على الناحية العلمية للطفل فحسب، بل تتعدى ذلك إلى تكوينه اجتماعيا ويكون موقفه من الطفل كموقف المنظم والناصح والصديق.

ويتوقف نجاح هذه العملية على عدة عوامل منها:

١ - سن المدرس:

- المقصود هنا ليس عمره الزمني بل ما يصحبه من نضج عقلي واجتماعي وما يترتب عليهما من توازن انفعالي وتماسك في شخصيته واتجاهاته نحو الأطفال.
- أما صغر عمر المدرس يعتبر عاملا من بين العوامل التي تساعد على فهم مشكلات الصغار بعكس لو كان من كبار السن فيتعذر عليه وضع نفسه محل تلاميذه لاختلاف الأجيال.
- من المحبب أن يصبح المدرس صديقا لتلاميذه لكن لا يجب أن تزال الفجوة بينهما، إذ إن التمادى في إنشاء صداقات بين المدرس والطفل من شأنه أن يفقد المعلم صفة يجب أن يشعر بها تلاميذه وأعنى بها أن يكون موضع احترام وتقدير.

٢ - جنس المدرس:

كما أن عمر المدرس يكون ذا فاعلية للتلاميذ فأيضاً نوع المدرس له تأثير .. فمثلا المدرسات يجدن صعوبة كبيرة تتصل بالنظام، حيث إن الطفل في المرحلة الابتدائية ينظر للمدرسة نظرتة لأمه فهو يحبها ولكن أحيانا لا يطيعها بعكس نظرتة للمدرس الرجل فتختلف ويكون أساسها الطاعة والرهبة في هذه المرحلة لأنه ينظر إليه كأبيه.

٣ - قدرة المدرس على فهم "الطفل المشكل":

"الطفل المشكل" هو الذي لا يحترم النظام ويعتدى على السلطة والتقاليد المدرسية ، وهذا الطفل يجب ألا تهمل مشاكله، ويجب أن يعمل المدرس على حلها ويقف على أسبابها حتى لا تتفاقم معه في كبره وتؤدي لإضرابه عندما يتقدم به السن.

من أهم مشكلات الأطفال الأخرى التي يجب على المدرس ملاحظاتها والعناية بها: القلق والتجمل وكثرة الحركة وعدم الشعور بالأمن والحرمان والأوهام..... إلخ.

هذه المظاهر أو المشاكل إن لم تحل في حينها تتأصل في النفوس وتصبح عاملاً مهماً في اضطراب سلوكهم وانحلال شخصياتهم.

٤ - شخصية المدرس:

يجب أن يكون ذا شخصية متكاملة .. أى تتوافر فيه هذه الشروط:

١- قدرته العلمية وتمكنه من مادته.

٢- ثقته بنفسه.

٣- قدرته على معاملة تلاميذه بهدوء وسعة صدر.

٤- تقبله ما يوجه إليه من نقد.

٥- ألا يكون خيالياً أو مثالياً، بل يكون قادراً على مواجهة الحياة بما فيها من حقائق.

٦- ألا يكون متمزناً نحو نفسه وأن يكون منشرح الصدر.

٧- أن يكون مثلاً للحب والتعاطف، وأن يكون بمثابة أب أو أخ أكبر لتلاميذه حتى لا يرهبونه، بل يتحدث ألفة بينهم واحترام.

٨- أن يتعد عن الدروس الخصوصية التي تفقده مصداقيته ويكون قدوة للتلاميذ .

إذا توافرت هذه الشروط في المعلم لا بد أن يكون ناجحاً وله تأثيراته في سلوكيات تلاميذه ويستحق بيت الشعر الذي يقول :

قف للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا .

والذي أحزنني كثيراً عند قراءته محرفاً على الجدار الخارجي لإحدى المدارس وقد كتبه أحد الطلبة الفاشلين الذي لم يتمثل له المعلم قدوة.

قف للمعلم واعطه البرسيما كاد المعلم أن يكون بهيما .

الفصل الخامس

العمليات العقلية فى التعلم

الإدراك.. الانتباه.. التخيل

كثيراً ما نسأل شخصا: هل أنت مدرك لما تفعله؟ فماذا تعنى كلمة "إدراك" التى نستخدمها فى مواقف كثيرة؟ وما علاقتها بالنمو النفسى للطفل؟ وهل الإدراك فطرى أم مكتسب؟!

• معنى الإدراك :

الإدراك هو الوسيلة التى يتصل بها الإنسان مع بيئته، فهو لا يستطيع أن يأكل إلا إذا أدرك بطريقة ما أن ثمة ما يؤكل موجود فى بيئته، ولا يستطيع أن يحافظ على حياته، وأن يستمر فى الوجود إلا إذا أدرك وجود الأخطار التى تهدد حياته من عدم وجودها، ولا يستطيع أن يعيش مطمئنا إلا إذا استطاع أن يفرق بين أصدقائه الأوفياء وغيرهم من أصحاب السوء.. وهكذا.

إذن الإدراك هو الوعى، والوعى عند الفرد لا يتربى من موقف معين واحد بل من عدة مواقف .

• الإدراك وعلاقته بالنمو النفسى للطفل :

ينعكس أثر البيئة الخارجية داخل الطفل فى صورة إدراك . والإدراك لا يعنى فهم الشئ أو الحقيقة فى حد ذاته وإنما يعنى هذا من خلال ذاتية المدرك سواء كان كبيرا أو صغيراً ، وينتهى هذا الإدراك إلى أحد مكانين : الشعور- اللاشعور .

فإذا كان الموقف المدرك مقبولا لدى متلقيه كان إدراكه فى الشعور، ويظل يؤثر فى سلوك الشخص بوعى .

أما إذا كان الموقف المدرك غير مقبول.. مخيفاً مثلاً أو مخجلاً، فإن الإدراك يتحول إلى اللاشعور في صورة كبت للموقف أو ما يحيطه من انفعالات ويتحول إلى "عقدة" تؤثر في سلوك الشخص بدون وعى منه .

وبما أن الإدراك يعنى الوعى بالمواقف المحيطة وإدراكها.. إذن من الممكن أن تنمى لدى الطفل أى نوع من أنواع الوعى.. كالوعى الدينى مثلاً بأن نقدم له المعلومات الوفيرة والقيادة المؤمنة.. وكذلك الوعى الاجتماعى والسياسى ... إلخ .

هناك نقطة بسيطة لا تلتفت إليها الأم أو المعلمة، وقد تكون عواقبها النفسية جسيمة، وهى أنه أحياناً تسرف الأم أو المعلمة فى القسوة أو التدليل أو التحقير للطفل ونحن نعلم أن الطفل بدوره وعن طريق إدراكه للموقف الذى يحدث له إما أن ينقل إدراكه للواقع المعاش للشعور أو اللاشعور.. وإذا كان هذا الإدراك معتدلاً سيظل فى شعوره وسينمو معتدلاً نفسياً. أما إذا كان هناك إسراف سيملاً للاشعور بالكبت والعقد وسيشعر الطفل حين يكبر إما بالنقص أو التكبر بصورة لا يرضى عنها المجتمع ويصبح مريضاً نفسياً .

• الإدراك من حيث إنه فطرى مكتسب :

وإذا نُظر للإدراك من ناحية إنه فطرى أو مكتسب: فسنجد أن الإنسان كغيره من الكائنات الحية يولد مزوداً بقوى فطرية هائلة لتحقيق عملية الإدراك، ولا يتعلم الكائن الحى كيف يستخدم هذه القوى الهائلة، بل إنه يستخدمها مباشرة ، غير أن استعماله ينمو ويتهدب بحكم اتصاله المتكرر بالعالم الخارجى، ويستعمل الكائن الحى هذه القوى فى المحافظة على بقاءه وفى تنفيذ أغراضه الدنيا والعليا فى الحياة .. وقد توصلت الدراسات

السيكولوجية إلى أن الإدراك البصرى يحتل المنزلة الأولى في القوى الإدراكية التى نزود بها .
ولهذا لابد أن نراعى المراحل السنية للطفل ومدى إدراكه واستيعابه لمن ولما حوله حتى نوجهه التوجيه الصحيح .

الانتباه

الانتباه من حيث معناه العام : هو حالة تركيز العقل أو الشعور حول موضوع معين ، وهو بهذا المعنى العام عملية وظيفية ، فبينما نقول "خللى بالك" أو "انتبه" أو "ركز انتباهك" كما يقول المدرس أحيانا لتلاميذه وهو يقصد أن يبلور التلميذ.. شعوره وإدراكه حول جزء معين من المجال الخارجى الذى يوجد فيه التلميذ والذى يكون للمدرس جزء صغير منه حيث إنه يقف فى حجرة بها تلاميذ يتحركون ويهمسون ويتحدثون ... إلخ .. فحينما يطلب المدرس هذا فهو يعنى المعنى الوظيفى للانتباه فى الحياة العقلية للتلميذ، أى أن يحاول التلميذ إشباع شعوره بأكثر مدى ممكن من المعرفة وتركيز الطاقة العقلية على الموضوع الذى يشرح، وغالبا نحن لا ننتبه لكل ما هو مألوف.. وغير المألوف دائما هو ما يلفت انتباهنا .

وحتى يتم الانتباه لابد أن تتحقق بعض الاشتراطات

ومنها :

١- البيولوجية : فلا يمكن لطفل جائع أو عطشان مثلا أن يركز انتباهه فيما يقال حوله ، فلا بد أن ينصرف تفكيره إلى حالته وخاصة إذا كان يعانى مثلا من مرض فى أسنانه أو مغص معوى .. إلخ.. فهذا لابد له أن يضعف انتباهه .

٢- النفسية : نحن نعلم أن الانفعالات تتلاشى ببطء لذلك نلاحظ أن الطفل أو الطالب بصفة عامة يصعب عليه الانتباه إذا تعرض لتوبيخ أو عقاب من أحد ذويه أو شاهد فيلما تليفزيونيا أثار أعصابه أو مباراة كرة تأثر بها مثلاً . ويرى عالم النفس "باولو" أن الانفعال سواء كان داخليا أو خارجيا يؤدي إلى إثارة بعض المراكز في جسم الإنسان، فتؤدي بدورها إلى عدم الانتباه لأن تركيز الطفل على شيء معين يفقده انتباهه .

• إذن كيف يستطيع من يشرح أن يجذب انتباه الطفل ؟

حتى يكون الطفل منتبها أثناء الشرح - سواء لمعلمه أو لأمه - انتباهها تماما لابد أن يكون من يشرح له هادئا، وأن يكون الشرح بصوت مرتفع واضح ومتنوع النبرات حتى يجذب انتباهه .. فإن كان الشرح ببطء صوت واحدة وعلى وتيرة واحدة يجعل الطفل يمل وينصرف عنه ، وكثيراً ما نسمع التلاميذ يقولون بينهم وبين بعضهم إن أحد المدرسين حصته "بتنيم" . والأجمل والأفضل لو استخدم المدرس وسائل توضيحية مبهرة وملفتة للنظر أثناء الشرح كالحرائط مثلاً، أو يقوم بعمل تجارب معملية أمامهم .. أو يستخدم الطباشير الملون واللوائح الإيضاحية وخاصة للمرحلة الأولى، فكل هذا يزيد من انتباه الطفل .

التخيل

هناك نوعان من التخيل :

أولاً : التخيل " التكويني أو الإنشائي " : وهذا النوع يهدف للبناء، وهو عبارة عن نوع من التفكير تستعمل فيه الحقائق

لحل مشكلات المستقبل والحاضر كتخييل المبدعين والمفكرين والمخترعين والكتاب والروائيين .

ثانياً : "التخييل الهدام" : وهو يساعد الفرد على حل مشكلاته الحاضرة والمستقبلية بشكل يلحق به أو بمجتمعه الأذى.. وهو تخيل يعيد الإنسان عن عالم الحقائق لعالم الأوهام بشكل يؤثر على حياته .

• تخييل الطفل في سن المدرسة :

عندما يلتحق الطفل بالمدرسة يأخذ تخيله اتجاهها جديداً ، فبعد أن كان خياله في المرحلة السابقة من النوع الإيهامي الذي يعبر فيه عن تخيالاته أثناء لعبه أو في أحلامه، ويستمد هذه التخيلات من موضوعات منزلية أو من مشاهداته لأشخاص معينين كرجل البوليس أو ساعي البريد مثلاً - واتصال هذه التخيلات برغبات الطفل المكبوتة كمثل أن يغار من أخيه الصغير فيتخيل نفسه يعاقبه أثناء اللعب - فنجده نتيجة لنضجه العقلي يصير تخيله في سن المدرسة إبداعياً أو تركيبياً، ونستطيع في هذه السن أن نتحكم في قدرته التخيلية ونوجهها عن طريق النشاط الفني كالرسم والتلوين أو ندفعه لمجال سرد القصص .

ولا ننسى أن خيال الطفل يغذيه ما يقرأ أو يشاهد من تمثيلات وأفلام.... إلخ.

ولذا فعلينا بالاهتمام بنوعية ما يقبل عليه من قراءة أو مشاهدة تليفزيونية. ومن الممكن أن يحدث التخيل بطريقة متعمدة أى يعيد الإنسان ذكرياته أو خبراته بمحض إرادته أى أن يضع شيئاً معيناً أمامه ويجعله حاضره.

ويمكن أن يحدث التخيل بطريقة غير متعمدة، حينما تحدث مشكلة مثلاً ويحدث استرجاعها وتخيّلها عندما يدور بأذهاننا ما شابها في الماضي .

فالقدره على التخيل مرتبطة بالحالة الذهنية التي يكون عليها
 الطفل في لحظة معينة . فترى مثلاً لو أن تلميذاً جالساً لوحده في
 مكان ملائم يحل أسئلة امتحان على طبيعته فيعطى نتائج صحيحة
 لأنه عنده فرصة للتخيل، أما من يقف أمامه بعض زملاء أو
 مدرس يجلس بجواره أحياناً فيتوتر وتشتت أفكاره ويبعد عن
 التخيل الإيجابي .. ولذا على المدرس أو مراقب الامتحان أن
 يشجع المتحن ولا يشتت انتباهه.. وعلى الأم أن تلفت نظر ابنها
 ألا يعاباً بهذا ويركز في طريقة حله فقط .

العمليات العقلية المسهمة في عمليات التعلم

التذكر .. التفكير .. الحفظ .. التكرار .. الاستدعاء

أولاً: التذكر:

التذكر: وظيفة للعقل من حيث هو وحدة التذكر،
 والوظيفة الرئيسية للتذكر هي استرجاع الموقف أو الموضوع،
 والتعلم يعتمد على التذكر لحد كبير .. فتذكر الإنسان لطريقة
 التغلب على مشكلة معينة ، وسرعته في إدراك موقفه السابق إزاء
 هذه المشكلة يساعد على التغلب على نفس هذا الموقف، أو على
 آخر يشابهه بسهولة كبيرة ، وبالتالي يكون قد تعلم هذا الأمر
 وبعد مرة أو مرات لا يجد الإنسان ثمة مشكلة إزاء هذا الموقف .

إلا أن التذكر بدوره عملية معقدة فهو يتوقف على الحفظ،
 كما أن له مظهرين هما التعرف والاستدعاء ، وبالتالي يعتمد على
 الذاكرة التي يحفظ فيها الشخص معلوماته وهل هي قوية أم
 ضعيفة؟ وسنوضح هذا في السطور التالية.

الذاكرة

هى كومبيوتر الإنسان الذي يحفظ فيه معلوماته وإمكانية الاحتفاظ بشيء فى الذاكرة واسترجاعه يتم بواسطة قشرة المخ التى تضم الخلايا العصبية الأصلية.. وقشرة المخ هى الطبقة العليا للمخ ونموها السريع هو ما يميز الإنسان عن الحيوان .

ويحدث التذكر حينما تترك الانفعالات آثاراً بالمخ .. وبالمخ مخزنان للذاكرة: الأول: هو مخزن التذكر لوقت قصير. والثانى: للوقت الطويل.

مخزن الوقت القصير: يحتوى على الاستجابات الخاصة بتذكر الوقائع النفسية الحاضرة ، أما مخزن الوقت الطويل: فتسيل منه المعلومات ١٦ جزءاً فى الثانية .

والأطفال يتذكرون لمدة قصيرة قد تكون لدقائق لقلة خبراتهم السابقة.. ولكن فيما بعد تأخذ قدرة الطفل على التذكر فى النمو كلما زاد عمره .. فعملية التذكر تسير جنباً إلى جنب بجوار عمليتي الإدراك والانتباه .

والتذكر ينعكس إما عن معرفة فيكون قائماً على الفهم ، أو إنه تذكر آلى وذلك بالنسبة للأطفال لأن قدرتهم العقلية محدودة، وبالتالي هم يفضلون الاسترجاع الذي لا يقوم على الفهم.

ونمو انطباع الذاكرة المبني على الفهم مهم جداً بالنسبة للتلاميذ، ويجب على من يساعدهم سواء بالمنزل أو المدرسة أن يحثهم على الفهم حتى تثبت المعلومات فى ذاكرتهم لفترات طويلة، وكلما استوعب التلميذ المادة الدراسية كلما أمكنه تحليلها، وانطبعت بذاكرته أكثر وأكثر . وهناك طرق عديدة تستخدمها البعض لتثبيت انطباع معين بالذاكرة منها :

- القراءة المسموعة من شخص لآخر (نرى أن الانطباع بالذاكرة هنا يكون عن طريق الصوت وطريقة النطق).
- قراءة ونقل ما هو مكتوب (الانطباع يكون عن طريق النطق والعمل اليدوي).
- القراءة بصوت عال (الانطباع يكون بالذاكرة عن طريق الصوت والنظر).
- القراءة الصامتة (الانطباع يكون عن طريق النظر) .
- ترديد ما يقوله الغير (الانطباع يكون عن طريق السمع والكلام).
- وفي النهاية نقول إن الانطباعات الناتجة عن الفهم والمكتسبة بواسطة الارتباطات فإنها تكون أكثر انطباعاً بالذاكرة .

ثانياً: الفهم والتفكير :

كثيراً ما نتحدث مع طفل لمدة طويلة في أمر ما ونكتشف أنه لا يعي شيئاً مما نقول.. وفي هذه الأثناء نقول هذا الطفل لا يفهم! فماذا نقصد بكلمة الفهم التي نستخدمها كثيراً .

الفهم : هو أن نوضح فكرة أو نتحدث في موضوع بأسلوب يسمح للمتلقى فهمه بأبسط طريقة ممكنة .. وعندما يفهم نكون نجحنا في توصيله.

وكثيراً أيضاً ما يخلط الناس بين فرد فاهم وإنسان يفكر جيداً مع أنه من الممكن أن يكون الفرد فاهماً لما تحدثه فيه لكن لا يستطيع أن يطبقه بسهولة، ومن هنا يأتي دور التفكير وهو ما يلي الفهم .

التفكير: هو أن نعطي هذا الفرد مثلاً أسئلة على ما فهمه ومنتظر الإجابة عنها.. فتحدث عملية عقلية معينة يكون فيها إيجابياً بعكس الأولى التي كان فيها سلبياً فيستطيع التغلب على

الموقف الذى وضع فيه، وبالطبع يختلف تفكير كل شخص حسب تكوينه النفسى وشخصيته وما فهم .

ومن هنا نجد أن التفكير يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية الأخرى .. وبالتالي لا يوجد التفكير إلا إذا جابهت الكائن الحى مشكلة معينة والمشكلة بدورها لا توجد إلا إذا تواجد الفرد فى موقف معين ويود الوصول لحل له ولكن لا ينفع مع هذا الموقف أساليب سلوكه المعتادة فيضطر العقل للتفكير. وينمو التفكير طبقاً للخبرة وإدراك العلاقات الجديدة.. ولكن ..

هل هناك فرق بين التفكير والذكاء أو التفكير والتذكر أو

التفكير والتخيل؟

بالنسبة للتفكير والذكاء: يعتبر التفكير مظهراً من مظاهر الذكاء ولكنه ليس متحداً معه.. فالتفكير يمكن تدريبه .. بمعنى أن من أهداف التربية الصحيحة تدريب النشء على التفكير السليم، أو بمعنى آخر مساعدة النشء على اكتساب عادات فكرية صحيحة.

فالتفكير يمكن توجيهه وجهة معينة وفق شروط التعلم العامة، بينما الذكاء لا يمكن تدريبه وتنميته، حيث إن نسبه يختلف الأفراد فى درجاتها وتظل ثابتة داخل حدود معينة، كما أنه استعداد يرثه الطفل، شأنه فى ذلك شأن الخصائص الجسمية والانفعالية التى تنقلها الجينات من الآباء والأجداد للأبناء فيولد الطفل مزوداً به ..

بالنسبة للتفكير والتذكر: نجد إن التفكير يفتقر عن التذكر، إذ أن التذكر هو العملية التى يتم بها استرجاع موضوع معين وهو يعتمد على الحفظ ، ويظهر التذكر إما على صورة استدعاء أو تعرف ، أما التفكير فإن الخبرات السابقة لا تحتل إلا منزلة جزئية، إذ يختار الفرد منها ما يناسب الموقف الجديد الطارئ عليه،

ثم يعيد تنظيمها في كل جديد يحاول به التغلب على المشكلة في هذا الموقف الطارئ.

بالنسبة للتفكير والتخيل: يفترق التفكير عن التخيل في أن التخيل هو استدعاء للخبرات السابقة في صورة جديدة.. بعكس التفكير الذي يهدف لحل مشكلة معينة، وقد يساعد التخيل ويسهم في التفكير، إذ يعتبر عملية مهمة من العمليات التي يقوم عليها التفكير . إلا أن التخيل أبسط من التفكير لأنه لا يهدف دائما لحل مشكلة ولا يهدف لتحقيق غرض معين .

والواقع أن عملية التفكير تحتل منزلة كبيرة في العمل المدرسى، ولا بد أن ندرك تماما أننا يجب أن نتعلم طرق التفكير المختلفة، وأن التعليم وحده هو الذي يمكنه أن ينمي طرقا معينة للتفكير عند النشء ويرعاها .. وأن خير العادات التي يمكن أن نربي عليها أبناءنا هي التفكير العلمي . الذي يؤسس على الملاحظة والمشاهدة الدقيقتين .

وإذا تناولنا الطفل وتفكيره وهو ما نحن بصدده - فسنجد أنه في سن السادسة أو السابعة يصعب عليه التفكير مجرداً، بل نجد أنه يستعين في تفكيره بالصور البصرية للأشياء التي يلاحظها في حياته اليومية ويبدأ تفكيره في اتخاذ صيغة واقعية وترك الخيالات .. ويتعلم الطفل الأمور التي لا تحتاج لمجهود عقلي عنيف .. فهو يميل لحفظ الأغاني والأناشيد، أو ما يمكن أن يستوعبه استيعاباً آلياً .

ويلاحظ أن الطفل البطيء التعلم يكون سريع النسيان كذلك! ويستمر تطور الطفل التفكيري مع الوقت ومع سنوات الدراسة .. ففي أخريات المرحلة الأولى مثلا من الممكن أن يدرك المعاني الكلية.. فيستطيع أن يعرف ويدرك معنى التعاون والديمقراطية إلخ .. لكن ليس بطريقة تجريدية أى مجرد

اصطلاحات ولكن بربطها بالممارسات اليومية، ومن الممكن أن نوضح له مثلاً التعاون بمجموعة تتعاون في عمل معين وهكذا . ونجد أن طفل السادسة في حاجة لكتب قراءة مصورة ، بينما طفل التاسعة مثلاً يميز بين المترادفات ويكتشف المضادات ويقرأ ليفهم وتلذ له القراءة الصامتة .

والهدف من القراءة الصامتة في هذه المرحلة يكون لتنمية مجموعة من الاتجاهات والميول السليمة.. أى لفهم المعنى واكتساب معلومات جديدة وللتسلية أيضاً.. وخاصة أن الطفل في هذه السن كثيراً ما يسأل عن فوائد الأشياء وطرق استعمالها.. لذلك يجب أن نتوخى في مادة القراءة الإجابة عن تساؤلاته، ومثل هذه الأمور تتكرر في العمليات الحسابية وبقية المواد. ولذا فكل سن لها قدراتها الاستيعابية وتفكيرها وبالطبع يجب أن توضع المناهج التعليمية على هذا الأساس .

ويجب أن يتعامل الأبووان أو المعلمون على هذا الأساس، فكل مرحلة سنية لها حدودها الإدراكية والسمعية والبصرية وأيضاً الانفعالية .

مراحل التفكير

مراحل التفكير عند الطفل ثلاث مراحل وهي :

- ١- مرحلة العد والتعداد: وهي تقع في حوالى سن الثالثة والرابعة .
- ٢- مرحلة الوصف : وهي تقع في حوالى سن السابعة والثامنة .
- ٣- مرحلة التفسير : وتقع في حوالى الثانية عشرة والثالثة عشرة .

والخلاصة : إن قدرة الطفل على التفكير تنمو وفقا لخطوط النمو العامة. وتسير من إدراك العلاقات البسيطة إلى المركبة.. ولذا يجب أن نراعى أن تكون المناهج التي نبثها للطفل في كل مرحلة عملية بقدر الإمكان، وأن تكون العلاقات المطلوبة من الطفل متدرجة فتبدأ بسيطة في إدراكها واستنتاجاتها وتتفق وطبيعة نموه العقلي وسنه ..

ثالثا الحفظ:

يتمثل الحفظ في أننا نستطيع استدعاء الأمور التي تعلمناها سابقاً وأنها نستطيع التعرف عليها .

ومن الملاحظ أنه حينما تنتهي الامتحانات نجد أن بعضها لا يزال عالقا بالذاكرة، أما البعض الآخر فقد نسيناه تماماً، وهنا نرى أن الحفظ والنسيان ليسا بوظيفتين مختلفتين بل هما مظهران لوظيفة واحدة والحفظ هو جانبها الإيجابي والنسيان هو جانبها السلبي .. وغالبا ما توجد فروق فردية في مدى ما يحفظه الأفراد المختلفون حسب الشروط التي تحيط بكل منهم فنجد أن :

- يحفظ سريعو التعلم أفضل من ضعيفي التعلم لأن نسبة ذكائهم تكون أعلى، وبالتالي تكون قدرتهم على الحفظ أقوى من الشخص الضعيف التعلم .
- إن المواقف المشوبة بصبغة انفعالية يتذكرها الإنسان أفضل من المواقف المحايدة، وكذلك المواقف السارة نتذكرها أسرع من المواقف المؤلمة .
- إن مدى ما يحفظ يتوقف على طريقة التعلم .. فمثلا الطفل في حالة الطفولة المبكرة يجب أن يتعلم بالعمل.. وفي الطفولة المتأخرة يحفظ بطريقة آلية ، أما في المراهقة فهو لا يحفظ إلا ما يفهم .

- إلا أن الإنسان لا يستعمل ما يحفظه في كل المناسبات بل يكمن في ذهنه حتى تتيح له المواقف الخارجية الفرص التي تلزمه بأن يلتجئ فيها لخبراته السابقة، فيستخرج ما يحفظه في صورة استدعاء، أو تعرف وسنوضح ذلك في الفقرات القادمة.

حجم مادة الحفظ:

- يجب لنا "أبنجهاوس" عن حجم مادة الحفظ، إذ يرى أنه يأتي بالتدرج، فلو حفظ الشخص من ٦ : ٧ حروف يحتفظ بها من أول مرة وسيصل في الرابعة إلى ٣٦ حرفاً بعد تكرار العديد من المرات.. وبالطبع يكون الحفظ أسهل إذا كانت الحروف بينها علاقة ذهنية وتكون للمادة معنى.. وما نريد إيضاحه في هذا الصدد أن كل طفل له قدرته على الحفظ حسب تكوينه وحسب سنه، ولا يجب أن نضغط عليه أكثر من اللازم لأن هذا من الممكن أن يؤدي لنتيجة عكسية تماماً ويجعله مشوشاً وبدلاً من أن يحفظ ينسى ويقول "ليوتيف" كلما كبر سن الطفل لجأ إلى الوسائل المساعدة على الحفظ .

النسيان

- يعمل الإنسان على نسيان الأحداث التي تشعره بالآلام النفسية .. والنسيان في هذه الحالة يعتبر عملية دفاعية لا شعورية ..
- وكما أن النسيان له جانبه السلبي حين ننسى الأشياء المهمة التي نريد الاحتفاظ بها.. فله جانبه الإيجابي أيضاً حين ننسى أشياء تخزننا ونحتفظ بما له قيمة في حياتنا .

● ومن أسباب النسيان تعدد الأنشطة الذهنية والجسمانية ولذلك يجب علينا أن نحث الطفل على مراجعة دروسه على فترات متقاربة ، ويجد البعض أن النوم بعد المذاكرة مباشرة يساعد على عدم النسيان، حيث لا يمارس التلميذ أى نوع من أنواع النشاط الذي يشتت تفكيره.

● ونوه هنا إلى أن المادة التي لها مفهوم ومغزى ذهني يسهل عدم نسيانها والاحتفاظ بها.

ونستنتج مما سبق :

● إن الطفل يمكن أن يحفظ الأشياء التي لها مغزى ذهني بسهولة ويمكن أن يحتفظ بها في ذاكرته .

● كلما كبر سن الطفل ، كلما لجأ إلى الوسائل المساعدة في الحفظ ، بأن يربط بين الشيء الذي يحفظه والأشياء الأخرى التي تذكره به .

● ولذا يجب علينا ألا نعطي الطفل الكثير من المعلومات دفعة واحدة، وأن يكون هذا بالتدرج حتى يستطيع أن يحتفظ في ذاكرته بمعظم ما يحصل عليه عند المذاكرة، ويجب أن يتبادل التلميذ الواجبات بحسب سهولتها وصعوبتها، ومن الأفضل البداية بالصعب ثم العودة للسهل .

● ويجب على المعلم أو ذويه بالمنزل أن يعلموه كيفية الإعداد للدرس قبل الحصّة بأن يقرأه ولو مرة واحدة قبل أن يشرحه المعلم.. وينبهونه لمراجعة دروسه على فترات متقاربة .

رابعاً : التكرار:

• هل التكرار وكثرته يساعد فعلاً على الحفظ؟

إن التكرار يساعد على الحفظ ولكن الانطباع بالذاكرة لا يأتي نتيجة لعدد مرات التكرار فقط فلا بد من الفهم والخبرة أيضاً. لذلك نجد أن التكرار خلال فترة زمنية وجيزة غير مجد بالنسبة للاحتفاظ بالذاكرة .. ودليلنا في ذلك لو أن التلميذ لم يستذكر دروسه بانتظام على مدى العام.. ثم يريد أن يعوض هذا خلال فترة زمنية قصيرة قبل الامتحان نجده لا يحصل على نتائج ذات قيمة .. ويجب أن يكون التكرار على أساس سليم وعن فهم لأن التلميذ لو استطاع أن يحفظ أشياء وبها أخطاء من الصعب أن يخرجها من ذاكرته بسهولة.

خامساً : الاستدعاء :

• هل يمكن أن نستدعي المعلومات في أى وقت نريد ؟

وهل يختلف هذا عن الإدراك والتخيل ؟

الاستدعاء: هو استرجاع الذكريات وما يصاحبها من ظروف مكانية وزمنية .. ويعتمد الاستدعاء على الصورة الذهنية ، فمثلاً حينما نسترجع ما قاله المدرس دون أن نقرأ ما أملاه علينا فنسمى هذا استدعاء .

ويختلف الاستدعاء عن الإدراك في أن الاستدعاء يتعلق بالماضي، بينما الإدراك يتعلق بالحاضر .

ويختلف أيضاً عن التخيل لأن التخيل يرتبط بالمستقبل، بينما الاستدعاء بالماضي.

فمثلاً إذا بدأنا في حل أسئلة امتحان حين نقرأها سيحدث إدراك لمضمونها في الحاضر ثم يبدأ استدعاء أو استرجاع

للمعلومات التي استذكرتها في الماضي ثم التفكير في احتمالات
الاجابات وما ستكون عليه في المستقبل وهذا تخيل.
ملحوظة :

يجب أن ننمي الاستدعاء عند الطفل حتى يرتفع مستواه
للأفضل، فحينما يسترجع قاعدة نحوية مثلا يعرف يعرب الجمل،
وكذلك في حل المسائل حين يستدعي القانون الخاص بالحل .

سادساً التعرف:

يختلف التعرف عن الاستدعاء في أنه أسهل.. فهو ليس في
حاجة لاسترجاع لأنه بصدد موضوع مسبق متعارف عليه ،
فالتعرف ما هو إلا إدراك معدل بالتعلم.

ونلاحظ أن التعرف يحدث على درجات مختلفة .. فمثلا نحن
حين نقف أمام موضوع مبهم نشعر أننا نعرفه أو قرأناه من قبل،
ثم نحاول أن نتذكره فنكتشف أننا قرأنا مثله في السنوات السابقة
مثلا، ومع التذكر نحدد بصورة تامة اسم الموضوع بالكامل ومتى
أخذناه ومن الذي شرحه لنا وهكذا ثم بعد ذلك نعدل مسار
تفكيرنا .

الفصل السادس التطور الانفعالي عند الأطفال

النمو الجسمي والعقلي للطفل لا بد أن يحدث مع مرور السنوات، ومع هذا النمو لا بد من تطور انفعالي يحدث للطفل أيضاً مع تزايد سنوات عمره وبدرجات متفاوتة، ولنحاول أن نشير لهذا بنبذة صغيرة عليها توضح لنا ما يعترى الطفل أحياناً من انفعالات ونددهش لها وهل هذا شيء طبيعي أم لا؟!!

إن المظهر الانفعالي عند الأطفال يبلغ أشده في حوالى الثالثة فيجب ألا ننددهش من سرعة انتقال الطفل من حالة انفعالية لأخرى .

ثم سرعان ما يتجه نحو الثبوت والاستقرار شيئاً فشيئاً، ويبدأ الطفل في تجميع انفعالاته.. وهذا التغيير يستمر لبعده الخامسة .

● ولكن ما العوامل التي تؤثر في الطفل وتجعله يثبت انفعالياً ؟
الثبوت الانفعالي عند الأطفال ينتج عن عوامل كثيرة منها:

١- دائرة اتصال الطفل بالعالم الخارجى تكون قد اتسعت ..لأنه يصبح فى هذه المرحلة متصلاً اتصالاً مباشراً بغيره من الأطفال أو بكبار تعود الاتصال بهم فى غير محيط الأسرة كمجتمع المدرسة مثلاً.. وفى هذه الحالة نجد أن الطفل ينشغل ولم يعد يركز حياته الانفعالية على أمر واحد بل يوزعها على مختلف ما يحيط به ، وهذا التوزيع من شأنه أن يخفف من حدة انفعالاته وشدتها فيعطيه قسطاً كبيراً من الاستقرار الانفعالي.

٢- هناك عامل ثان يؤثر في هذا الثبوت الانفعالي عند الطفل وهو ميوله للتنافس والاعتداء والذي يجد منفذاً طبيعياً في المنافسة المنظمة في المجتمع المدرسي الصغير والألعاب التي يمارسها مع غيره، وفي الأمور التي يتعلمها في هذه المرحلة كمبادئ القراءة والكتابة والمعلومات العامة .

وهنا نلاحظ أن مشاعر وانفعالات الطفل لم تعد مركزة حول أفراد معينين بل جماعات منظمة .

فلا شك أن شعوره نحو مدرسته كوحدة عادة ما يكون شعوراً طيباً.. فحين يشعر الطفل أنه يستطيع أن يكون صداقات مع غيره من الأطفال ومع مدرساته ومشرفاته وأنه يستطيع أن يشارك على قدم المساواة في التغلب على آخرين وتجد الميول العدائية لديه منفذاً طبيعياً لها.. فهذا يساعد على الاستقرار الانفعالي لديه.

ثم دقة التمييز للمسي تقل بمقدار النصف تقريباً في سن السابعة، ونلاحظ أن هذه الحاسة في سن الثامنة أقوى عند البنات منها عند الأولاد .

٣- وثمة عامل ثالث يساعد على هذا الاستقرار والثبوت الانفعالي عند الطفل، وهو يترتب على العاملين السابقين وهو التنظيم الملحوظ في علاقات الطفل الاجتماعية .. فنجد أن سلوكه نحو الآخرين لم يعد نتيجة دافع وقتي بل يبنى على الاتجاهات والميول التي توافق مقتضيات الموقف ككل ، وبالتالي نجد شيئاً شبيهاً بالعرف الأخلاقي يبدأ في الظهور خلف سلوك الطفل اليومي .

ملحوظة :

بعض الأمهات سيقلن إن أبناءهن وصلوا لهذه السن ومازالت انفعالاتهم قابلة للاستثارة.. نعم انفعالات الطفل في هذه الفترة تكون نشطة وقوية وقابلة للاستثارة ، فحقيقة يقل التأرجح الانفعالي لديه ، ولن تجديه يتقلب بسرعة بين انفعال وآخر ولكن إذا استثير انفعالياً من الممكن أن ينخرط في البكاء أو يضرب بيديه ورجليه الأرض، وقد تزداد حساسيته الانفعالية ويتجه للعناد والتحدى والتمسك بأرائه في أفه الأشياء.

وإذا حدث هذا يجب ألا تقلق الأمهات أو تنزعجن لأن سرعان ما تشرع هذه الحالات في الزوال شيئاً فشيئاً كلما تقدم الطفل إلى السابعة وما بعدها، ويتحول لسن المرح والابتهاج وتنظيم الخبرات الانفعالية لتكامل الذات.. إذ يدرك الصغير وتتضح له قيمة السيطرة على الانفعالات وتقبل آراء الآخرين بالسماحة واللين .

* * *

النمو الحسي الحركي للطفل

إذا تتبعنا النمو الحسي للطفل سنجد مثلاً إنه في المرحلة من ٦ : ٨ أى مرحلة الطفولة الوسطى تكون حاسة اللمس قوية عند الطفل، وكذلك الحاسة العضلية..

أما سمع الطفل في هذه المرحلة فيكون غير ناضج تماماً.. فهو مثلاً لو سمع أغنية يتذوق إيقاعها إلا أنه لا يتذوق اللحن أو الكلمات.. ثم تبدأ فيما بعد دقة سمع الطفل في النضج، ونلاحظ تقدماً ملموساً في قدرة الأطفال على تمييز الأنغام الموسيقية حتى الحادية عشرة، ثم يتطور بعد ذلك من اللحن البسيط للمعقد .

- أما بالنسبة لبصر الطفل والتمييز البصرى فى هذه المرحلة أى من ٦ : ٨ سنوات فهو ضعيف وعلى غير ما نتوقع.. ذلك لأن حوالى ٨٠% من الأطفال دون السابعة مصابون بـ " طول النظر" فى حين أن ٢ أو ٣% منهم مصابون " بقصر النظر .
 - وبالطبع هذه الحقيقة على جانب كبير من الأهمية من وجهة النظر التعليمية . فنلاحظ أن الأطفال فى هذه المرحلة لا يجيدون قراءة الخط الصغير المطبوع ، أو الاشتغال بأى عمل قريب من أعينهم مباشرة لفترة طويلة من الزمن ..
- وإذا تطرقنا للمرحلة التالية من ٨ : ١٢ سنلاحظ أن إبصار الطفل يتحسن، كما أنه يستطيع أن يمارس الأشياء القريبة من بصره سواء كانت قراءة أم عملاً يدوياً لمدة أطول.. حيث لم يعد إدراكه البصرى مقصوراً على الأشياء القريبة من العين بل يتعداها لما هو بعيد عن مجاله البصرى... كما نلاحظ زوال طول النظر الذى يصاب به حوالى ٨٠% من أطفال المرحلة السابقة .

* * *

النمو الحركى للطفل

من ناحية النشاط الحركى للطفل سنلاحظ أنه فى مرحلة الطفولة الوسطى من ٦ : ٨ يكون ضعيفاً .

السيطرة على الحركات الدقيقة كمحركات أنامل الأصابع وما شابه ذلك، وأن قدرته على النشاط الحركى الذى يحتاج لقوة وعنف لا تعوزها الإجابة .

ولذلك يجب أن نوجه عنايتنا لمساعدة الطفل على السيطرة على الحركات الكبيرة التى لا تحتاج لنشاط عقلى دقيق .. كما يجب ألا نتوقع منه العمل الدقيق الذى يحتاج لمهارة من الأنامل والدقة.

فمثلا حينما يبدأ الطفل ممارسة القراءة والكتابة يجب ألا يمارس كتابة الخط الكبير غير المتشابه، ويلاحظ استخدام الخط النسخ في اللغة العربية بداية في المرحلة التعليمية الأولى لأنه أبسط من الرقعة، وذلك لقلّة زواياه ، ووضوح الحروف وعدد النقط ، ولاشك أن الممارسة الدقيقة الصحيحة للحروف المتشابهة تساعد الطفل فيما بعد على الإجادة والإتقان .

ثم ينضج النمو الحركى مع السنوات، فنجدّه في مرحلة الطفولة المتأخرة من ٨ : ١٢ تنمو لديه قدراته الحركية إلى الحد الذي يساعده على السيطرة على القلم ودقته في الكتابة ويتعلم الرقعة ويميل للكتابة الجميلة، ويمكنه أن يكتب موضوعاً إنشائياً وصفيّاً .. ويمكنه أن يوازن بين قدرته القرائية والكلامية من ناحية وبين قدرته التعبيرية التحريرية من ناحية أخرى .

العلاقات الكمية

الرياضة هي لغة الكم.. والأرقام هي لغة الرموز التي تصاغ منها الكثير من العلاقات في الحياة اليومية، ولذا يجب أن يهدف تعليم الرياضة في المرحلة الأولى إلى فهم الطفل للنظام العددي وطريقة سيره.. ثم يتطور الأمر للوصول للمرحلة الثانية وهي قراءة الطفل للأرقام أو كتابتها ، فيمكنه قراءة عدد مكون من ثلاثة أو أربعة أرقام ويدرك أن الأرقام تقيس كم الشيء فالشهر وحدة السنة واليوم وحدة الشهر ... إلخ .

ويفهم المسائل الرياضية من طرح وجمع وضرب وقسمة... إلخ.. حتى تتضح فكرته عن الأرقام ولغة الكم والقياس والمساحة والحجوم والكسور ... إلخ

كما يبدأ الناشئ في دراسة الهندسة العملية .. ونجد أن نموه العقلي يسمح له بنوع من النضج الذي يدرك بواسطته كل ما سبق .. وهكذا تتطور العلاقات الكمية بحسب سن الطفل ونضجه العقلي والإدراكي، وهذا ما نلاحظه لو تتبعنا المناهج الرياضية في تسلسلها وتصاعدها من البداية وحتى هذه المرحلة .

النضج والتعلم

كثيراً ما يتطرق لأسماعنا أن هذا إنسان ناضج أو يتبادل عنه هذه الكلمة مع ذوينا ..

• فما المقصود بالنضج؟ وما علاقته بالتعلم؟

يقصد به التغيرات الداخلية في الكائن الحي أو الفرد التي ترجع إلى تكوينه الفسيولوجي والعضوي وخاصة جهازه العصبي ، والتغيرات التي ترجع للنضج تغيرات سابقة على الخبرة والتعلم، وهي ناتجة عن التكوين الداخلي للفرد، ولا تلعب العوامل البيئية الخارجية دوراً في خلق هذه التغيرات وإبداعها ولكن يقتصر دور العوامل البيئية على تدعيمها وتوجيهها، ويعتبر النضج هو أول شروط التعلم الهادف المقصود .

ونخرج من هذا بأن النضج درجة نمو معينة في بعض الأجهزة الداخلية في الكائن الحي .. وهذه الأجهزة هي المسؤولة عن نمط استجابي معين يحقق وظيفة معينة لدى الكائن الحي .. والكائن الحي لا يستطيع أداء هذه الوظيفة إلا إذا وصل الجهاز الخارجي به إلى مستوى معين من النمو أيضاً ، هذا المستوى هو الذي يطلق عليه "النضج" ..

فإنسان ليس بقادر عل تعلم أى شىء فى أى مرحلة من مراحل حياته بنفس مرحلة سابقة أو لاحقة ، بل إن التعلم الجيد يجب أن نراعى فيه شروطاً معينة : فمثلاً من الصعب أن نعلم طفل الحضانة العمليات الحسابية، أو نعلم طفل الابتدائى الكيمياء والأحياء التى يدرسها الكبار، ونجد أنه لا بد من النضج العقلى حتى يستوعب هذا ويتقنه والذى ينمو تدريجياً حسب كل مرحلة وأيضاً النضج العضوى .

ومن هنا نأتى لسؤال مهم، ما المقصود بالنضج العضوى؟ وما المقصود بالنضج العقلى ؟ وهل توجد علاقة بينهما وبين التعلم ؟

• النضج العقلى :

ونقصد بالنضج العقلى درجة النمو العامة فى الوظائف العقلية المختلفة المتعلقة بالأمر الذى يتعلمه الطفل، مع اعتبار مختلف ظروف الفروق الفردية الممكنة بين الأطفال فى نموهم العام .
وهنا تجب الإشارة إلى أننا لا نستطيع تحديد زمن معين لتعلم أمر معين، بل النمو العقلى العام هو الذى يؤهل الطفل لإدراك الموقف الخارجى.

• النضج العضوى :

يقصد به النمو الجسمى السوى لأعضاء الجسم المتصلة بالوظيفة التى يتعلم الفرد فى مجالها.. ونرى أن النضج الجسمى شرط أساسى لعملية التعلم.. لأنه من الواضح أن الطفل لن يستطيع تحصيل أدنى نجاح فى تعلمه إلا إذا كانت تكويناته العضوية لهذا التحصيل قد نمت.

فمثلا الطفل الذى لم تنم عضلات رجليه لا يستطيع تعلم المشى، وهو لا يستطيع تأدية الحركات الدقيقة بيديه إلا بعد درجة نمو معينة وهكذا .

ولذا تحدد القدرة على التعلم بدرجة النضج الجسمى فى الفترة التى يتقابل فيها الكائن الحى مع الموقف المراد تعلمه .

• العلاقة بين النضج والتعلم :

نجد أن الخوض فى تعلم موضوع معين يتوقف على نضج الأجهزة الجسمية، وأيضا الوظائف العقلية التى تعتبر مسئولة عن أداء الفرد فى تعلمه موضوع ما ولاشك أنه من العبث محاولة إكساب فرد القدرة على أداء عمل ما إذا لم يكن نضجه ييسر له هذا الأداء .. ومن هنا يعتبر النضج شرطا للتعلم.

ولكنه وحده غير كاف لحدوث هذا التعلم ، بل لا بد من توافر شرط الممارسة ، بمعنى أن الطفل فى سن السابعة ييسر له نضجه اكتساب القدرة على الكتابة والقراءة، ولكنه لا يستطيع اكتساب هذه الأمور إلا إذا مارسها وتعلمها.. وهكذا .

طفل الحضانة

ما أقسى وما أصعب أن تترك أم طفلها - وخاصة إذا كان رضيعا - لدى أى مخلوق .. فحبها له يفوق حبه وتعلقه البسيط بكثير وخاصة فى هذه السن الحرجة.. ولكن ماذا تفعل إذا اضطرتها الظروف لتركه سواء ظروفها العملية أو الأسرية لعدة ساعات لدى دور الحضانة أو لدى مربية؟ .. وما تأثير هذا على الطفل!؟

نحن نعلم أن المرحلة الأولى في حياة الطفل تعد من أهم المراحل في حياته لأن تأثيرها لا يزول بزوال المرحلة.. بل يظل ممتدا للكبير، ومن الممكن أن تسبب له اضطراباً نفسياً فيما بعد .

ففي تلك المرحلة تتكون الاتجاهات الرئيسة لشخصية الطفل فهو يتعلم - بالطبع بواسطة أمه - العادات الخاصة بالتغذية والنظافة والمتصلة بالجنس والسلوكيات بصفة عامة .. كما أنه يتعلم المهارات العقلية والاجتماعية .. ونموه النفسى يتبلور في تلك الفترة.. ولذا نجد ملتصقاً بأمه التصاقاً شديداً .

فوجود الأم في حياة الطفل وبوعى منها لخطورة هذه المرحلة المبكرة من طفولته له أهمية كبيرة.. ولكن بعض الأمهات اللاتي لا تسمح ظروفهن بترك عملهن لرعاية الطفل في هذه المرحلة يضطرون لتركه للعديد من الساعات كل يوم إما للمربية أو لإحدى دور الحضانة مما يضر بنفسية الطفل حيث افتقاده لأمه يشعره بعدم الأمان ويوتره ويتلقى بدهيات سلوك الحياة من أشخاص ربما غير تربويين ويضرونه مستقبلاً، مما يجعله يعانى في الكبر من عدم النضج الانفعالى .

فالطفل في أعوامه الأولى يكون حساساً جداً لغياب أمه الذي يفقده الطمأنينة والدفء والحنان فيتولد لديه شعور بالقلق وقد يسبب هذا له ثورة انفعالية فيأخذ في البكاء المستمر والصراخ حتى تعود أمه فيعود إليه هدهده.

وبالطبع نحن نعلم أيضاً كم يتعلق الطفل بأمه الذي هو جزء منها، ولكن ماذا لو حكمت الظروف بهذا واضطرت الأم للاستعانة بمربية أو جليسة أطفال؟

إذا حدث هذا لابد أن تراعى الأم هذه النقاط : أن تهتم بسلوكياتها وبشخصيتها، وأن تراقبها فيما تفعل مع الصغير وأن

تختارها على درجة علمية ولو متوسطة ، وأن تكون طويلة البال وحنونة وعطوفة .. ولا تنسى أنها ستلعب دور الأم البديلة في غيابك.

• وماذا لو اضطرت الأم للذهاب به لدور حضانة ؟

- إذا اضطرت للذهاب به لدور حضانة فلا بد أن تراعى الآتى:
- 1- أن يكون عدد الأسرة متوافقاً لأن الطفل في هذه المرحلة يحتاج للراحة لوقت طويل في اليوم، وإذا لم يجد هذا يكون عصبياً ومضطرباً مما يؤثر على صحته وحالته النفسية.
 - 2- أن يكون بها مكان واسع كحديقة أو فناء مثلاً ليحصل الطفل على حصته من الشمس واللعب وليخرج طاقته الزائدة.
 - 3- أن يكون بها بعض اللعب التي تسعده وتنمي قدراته العقلية حسب سن الطفل .

• أما بالنسبة للمعلمة أو المشرفة على الأطفال في هذه السن

فيجب أن تتمتع بصفات معينة منها :

- 1- القدرة على فهم سلوكيات الأطفال .
- 2- القدرة على توجيه هذه السلوكيات .
- 3- تكون ملمة بأساليب التربية الحديثة والسليمة وأسس الرعاية الصحية للأطفال حتى لا تتسبب في ضررهم .

- ### • لذا يجب أن تكون مؤهلة لهذا ومدرّبة وعلى درجة عالية من الوعى وخاصة في هذه المرحلة المهمة والحرّجة من حياة الطفل .

طفل الابتدائي

لا أعتقد أن أيًّا منا من الممكن أن ينسى اليوم الأول له بالمدرسة وأحداثه سواء السعيدة منها أو التعيسة .. وليس غريباً ما نلاحظه على الطفل عند أول يوم يذهب فيه للمدرسة من صراخ وبكاء وتشبته بذويه .. والذي من الممكن أن يحدث له صدمة نفسية تحول دون ذهابه للمدرسة لفترة وتترك آثارها السلبية عليه .. ولهذا فدور الأسرة والأم والمدرسة مهم للغاية في ذلك اليوم والأيام القليلة التي تليه .. ولا بد من التصرف بحكمة حتى نجنبه أية آثار نفسية فيما بعد وستتناول في السطور التالية كيفية التصرف إيذاء ذلك .

- دور الأسرة والأم - بصفة خاصة - الذي يجب القيام به تجاه الطفل في هذا اليوم :

- ١- يجب التغلب على ما يعترى الطفل من خوف بنوع من التدرج .. فمن الخطأ أخذ الطفل مرة واحدة من وسطه العائلي الدافئ إلى جو المدرسة الذي يجد به نفسه وحيداً وعليه الاعتماد على نفسه فيشعر بالضياع والخوف وعدم الأمان ..
- ٢- يجب أن نقوم بتشويق الطفل للمدرسة بالحديث عما سيلقاه فيها من أطفال في مثل سنه سيلعب معهم ويجبونه وما سيتعلمه من مدرسته على ألا يكون هناك نوع من المبالغة حتى لا يصدم حين لا يجد هذا .. ولا بد لهذا التمهيد أن يحدث قبل دخول الطفل المدرسة بوقت كاف .
- ٣- من المفيد أن يصطحب أحد الأبوين طفله لزيارة المدرسة والتعرف على شكلها ومقابلة بعض المدرسين حتى يكون الطفل فكرة عنها ويألفها بعض الشيء .

٤- على الأم أن ترافق ابنها في اليوم الأول وتطمئنه بإنها ستعود إليه بعد وقت قليل وتصدق في هذا حتى يشعر بالأمان . ثم تكرر هذا بالتدريج على أن تتركه وقتاً أكبر .. وشيئاً فشيئاً سيعتاد هو ذلك ولا يتعرض لمشاكل نفسية تؤثر عليه مستقبلاً.

أما بالنسبة لدور المدرسة التي ينتقل إليها الطفل لأول مرة فلا بد أن تراعى عدة أشياء :

- يجب أن يسود جو المدرسة نوعاً من الألفة وأن يحيط الكبار الطفل بعطفهم ويشملوه بحنانهم سواء أكانوا مدرسين أو إداريين أو عمالاً حتى يشعر بالأمن بين جنبات المدرسة ويعتاد وجوده فيها.

فمثلاً تحاول بعض المشرفات أو المدرسات أن تلهو مع أطفال فصلها في فناء المدرسة ببعض الألعاب البسيطة في وجود أمهاتهم .

- عدم زجرهم أو استخدام أى نوع من العنف معهم .
- لا نجعلهم يمكثون بالفصول سوى وقت قصير .
- نحاول تقديم بعض الحلوى أو البالونات الملونة التي تفرحهم وتجذب انتباههم .

- لا بد أن تتوفر لدى مدرسات هذه المرحلة الجاذبية والصبر وطول البال وحب الأطفال .

- من الأفضل أن تكون مدرسات هذه المرحلة حاصلات على شهادة تربوية تؤهلهم للقيام بالتدريس لهذه السن لخطورة هذه المرحلة وما يترتب عليها فيما بعد .

ومتى تكاتفت المدرسة مع الأسرة في ذلك اليوم سيكون اليوم الدراسي الأول للطفل مشبعاً بالبهجة والحبة والألفة، وسيرى أن

المدرسة امتداد للبيت وليست بالمكان الغريب على عقله وحواسه وحاجاته النفسية .

وهكذا يكون دخول الطفل المدرسة أول احتكاك بينه وبين أول وحدة اجتماعية خارجية ، ويتوقف نجاح الطفل في التكيف مع الوسط المدرسى على الأسس العامة التي أحيطت به أثناء تكوينه الاجتماعى داخل الأسرة.

ومن الطبيعى - فى حالة الظروف السوية - أن يتعاون الطفل مع غيره من الأطفال لكسب رضا مدرسته ، لأن المدرسة تمثل فى نظره الذات العليا، فهى التى تعاقب المخطئ وتثيب المحسن ، وهى من حيث هى كذلك ذات تأثير كبير فى تكوين خلق الطفل ، وهنا يجب أن تعامل المدرسة جميع الأطفال على حد سواء دون تفضيل أو محاباة، لأنها إذا حققت المساواة استطاعت أن تقود هذه الجماعة قيادة حكيمة فى صالح الأطفال كأفراد وفى صالحهم كمجموعة .

ولا بد فيما بعد من الاتصال المستمر بين الآباء والمدرسة ووجود صلة بينهم وبين المدرسين حتى يقفوا على أى مشكلة تواجه الطفل وتبديدها فى الوقت المناسب وخاصة فى تلك الفترة الحرجة، لأن إهمال هذا من الممكن ألا يجعل الطفل متوائما مع المدرسة وهذا يؤثر على درجة تحصيله، ومن الممكن أن يسبب له مشاكل سلوكية كالانطواء والتهتهة واللجلجة والتبول الإلارادى.

العوامل المؤثرة فى تكوين الطفل

وقبل أن نبدأ فى سرد المشاكل النفسية التى يمكن أن يعانى منها الطفل فى تلك المرحلة لابد لنا من وقفة مع بعض المصطلحات التى تساعدنا على حل مشاكل طفلنا والتى نستخدمها كثيراً دون أن نعى بدقة ما تعنيه ومنها :

١- الشخصية :

كثيرا ما نسمع ويتطرق إلى أسماعنا أن فلانا عنده شخصية قوية وغيره يمتلك شخصية ضعيفة .

فما المقصود بكلمة شخصية ؟

المقصود بها أن ما يميز الشخص الأول هو أنه ذو تأثير على غيره من الناس، وأن له رأياً مستقراً بعكس الآخر الذى لا يوجد ثمة ما يميزه عن غيره فنجده ضعيف الإرادة ، ضعيف التأثير على غيره إلى آخر ذلك من الصفات .

أما فى علم النفس فالتعريفات كثيرة وسنأخذ منها هذا التعريف :

يقصد بالشخصية النظام الكامل من النزعات الثابتة نسيباً، الجسمية والنفسية التى تميز فرداً معيناً عن غيره، والتى تقرر الأساليب المميزة لتكيفه مع بيئته المادية والاجتماعية .

وبما أن الشخصية عبارة عن مجموعة نزعات موجهة نحو هدف معين أو أهداف معينة فإنها وحدة ديناميكية .

والتأثير بين الشخصية ومجالها الخارجى تأثير متبادل مستمر .. حقيقة أن الشخصية مزودة ببعض النزعات الوراثية إلا أن هذه النزعات قابلة للتغير والتعديل بحكم العوامل المؤثرة فيها.

ولكن ما فائدة هذا بالنسبة لما نحن بصددده ؟ فائدة هذا أننا في مجال التناول النفسى للطفل في تلك المرحلة ولا بد من دراستنا لشخصيته على ضوء أنها وحدة ديناميكية قابلة للتشكل تبعاً لتأثير عدة عوامل منها :

أولاً :العوامل الجسمية :

المقصود بها تلك التى تتعلق بالنمو الجسمى العام والحالة الصحية العامة، وهذه العوامل تميز بين صفتين : عامة وخاصة .

١-الصفة العامة للحالة الجسمية: مثل النمو الجسمى الطبيعى والصحة العامة والمقاومة ضد الأمراض .

٢-أما الصفة الخاصة: فهى أن يكون الفرد مميزاً فى شىء ما كالطول أو القصر أو الثقل فى الوزن أو نقص معين فى أية ناحية جسمية داخلية أو خارجية.

وهذا لا بد من الانتباه له وملاحظته لأن العقل السليم فى الجسم السليم .. فملاحظة النمو الجسمانى للطفل ومعالجة أى مرض يهاجم جسمه، أو أى نقص يلازمه من البداية أمر مهم على صحة الطفل ونفسيته.

ثانياً :العوامل الاجتماعية :

ويقصد تلك العوامل التى تتوقف على البيئة التى يعيش فيها الطفل وهى بدورها تنقسم لمجموعتين :

أ- المجموعة الأولى : وتتعلق بالظروف الاجتماعية داخل المنزل ولسنا فى حاجة للتأكيد على قيمة هذه المجموعة فى تأثيرها على الشخصية وعلى أثرها إذا كانت صالحة فى إعداد أطفال أصحاء نفسياً ، وتدخّل تحت هذه المجموعة عوامل أربعة تؤثر بالفعل فى شخصية الطفل وهى :

١- حالة الأسرة الاقتصادية : وتعتبر الحالة الاقتصادية طبيعية إذا كان مستوى الأسرة الاقتصادي كافياً لسد حاجاتها الأساسية من كساء وغذاء وصحة ومأوى وتعليم ونشاط ترويجي.. ويكون الطفل في هذه الحالة مستقراً نفسياً لحد كبير .

٢- ظروف الأسرة المنزلية الطبيعية : ويقصد بها الأسرة التي تتكون من أب وأم وأولادها والذين يعيشون عيشة واحدة وتحت سقف واحد وإذا اختل هذا الوضع لسبب من الأسباب تعتبر هذه الظروف غير طبيعية .. كأن مثلاً يشرف على تربية الطفل زوج أو زوجة أب.....إلخ.

٣- المعاملة المنزلية : ويقصد بها الأسلوب الذي يتعامل به الوالدان مع أبنائهما وهل هو عنيف لدرجة القسوة أم سهل لدرجة الميوعة والتدليل أو متناقض أو غير موجود من الأصل ، وخاصة أن لهذا آثاراً مستقبلية جديرة بالاهتمام لما يمكن أن يكون عليه الطفل في المستقبل .

٤- صلاحية المنزل للتربية: فالمنزل غير الصالح للتربية هو المنزل الفاسد، وهو الذي يكون فيه أحد قطبيه الأم أو الأب أو كليهما مصاباً بإدمان الخمر أو تعاطي المخدرات أو المقامرة أو السرقة وما إلى ذلك.. ولا تعليق على هذا الوضع .

ب- المجموعة الثانية : وهي التي تتعلق بظروف نشاط الطفل خارج المنزل، وتنقسم أيضاً هذه المجموعة لثلاثة عوامل وهي :

١- أن نوجه الطفل للعمل المتفق وميوله ومواهبه حتى يكون هناك توافق مع شخصيته.

- ٢- أوقات الفراغ وكيف يمضيها وأهمية ذلك في تكوين شخصية متزنة، وغالبا ما نجد أن الهوايات العملية والفنية أو الأدبية أو النشاط الرياضي هي خير هذه السبل .
- ٣- أنواع الأصدقاء الذين يرافقون الطفل فلا شك من تأثيرهم عليه في ميوله وأوقات فراغه ونشاطه الترويحي .

* * *

التكوين النفسى

وصلنا لمصطلح التكوين النفسى .. والمقصود بالتكوين النفسى للطفل: هو ما يكتسبه من صفات سواء كانت موروثة أو مكتسبة تميزه في تفاعله مع مواقف الحياة عن غيره : وبالتالي تميز سلوكه في تصرفاته وتوافقه مع المجتمع عن غيره أيضا.. وإذا كنا لا نستطيع أن نتحكم في الجينات والصفات الموروثة للطفل فمن الممكن أن نعدل ما بها بواسطة السلوكيات المكتسبة عن طريق المحيطين به داخل المنزل أو خارجه ولا نكتفى بممصمة الشفاة ونقول إنه وارث هذا عن والده أو والدته مثلا .. لأن الطفل كالعجينة والتي من السهل تشكيلها وخاصة في المراحل الأولى ولا بد من المحاولة وكل شىء له علاجه .